العربية والعولمة

معالم الحاضر وآفاق المستقبل

فى ضوء

الثقافة العربية والهوية الإسلامية

دكتور
عمرو خاطر عبد الغنى وهدان
كلية العلوم والآداب - جامعة طيبة
المدينة المنورة



مؤسسة حورس الدولية

العربية والعولمة
معالم الحاضر وآفاق المستقبل
في ضوء
الثقافة العربية والهوية الإسلامية

دكتور
عمرو خاطر عبد الغني وهدان
كلية العلوم والآداب – جامعة طيبة

مؤسسة حورس الدولية

وهدان ، عمرو خاطر عبد الغنى

العربيـة والعولمـة معالم الحاضر وآفاق المستقبل فى ضوء الثقافة العربية والهويـة الإسلامية/ عمرو خاطر عبد الغنى وهدان.- الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر، ٢٠١٠.

١٣٤ ص ، ٢٤ سم

تدمك ٩٧٨-٩٧٧-٣٦٨-٢٩٩-٧

١- اللغة العربية – الكلمات الدخيلة

أ- العنوان

٤١٢,٤

طبعة أولى
٢٠١٠

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٣٥٨ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولى I.S.B.N
٩٧٨-٩٧٧-٣٦٨-٢٩٩-٧

الإخراج وفصل الألوان
وحدة التجهيزات الفنية

مدير النشر
مصطفي غنيم

مؤسسة حورس الدولية
١٤٤ شارع طيبة – سبورتنج - الإسكندرية
ت ٠٣/٥٩٣٠٥٩٨ ف ٠٣/٥٩٢٢١٧١

الإهـــداء

إلى أستاذي الأستاذ الدكتور

عبده الراجحي

أهدي هذا العمل

شكرًا وتقديرًا

مقدمة

لغتنا العربيَّة ركن قويم من أركان شخصيَّتنا؛ فهي الأداة التي سجَّلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا، وهي البيئة الفكريَّة التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل. إنَّها تمثِّل خصائص الأمَّة ومقوماتها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانيَّة واسعة اشتركت فيها أمم شتَّى كان العرب نواتها الأساس والموجِّهين لسفينتها.

فيحقُّ لنا أن نفتخر بها، وأن نعتزَّ بها ويجب علينا أن نذود عنها ونولِّيها عناية فائقة، فنؤمن بقوَّتها وغزارتها ومرونتها وقدرتها على مسايرة التَّقدُّم في شتَّى المجالات، كما تُعدُّ مقوِّمًا من أهم مقوِّمات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرَّابط الموحِّد بيننا والمكوِّن لبنية تفكيرنا، والصِّلة بين أجيالنا، والصِّلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم.

وتعد اللُّغة الأداة الأساس التي نستشعر بها الكون، وهي تؤثِّر على نظرتنا للعالم من حولنا، وتوجِّه نشاطنا نحو الأحداث في السِّياقات المختلفة، ولكن اللُّغة لا تبقى كما هي، حيث إنَّ من أهم خصائص اللُّغة تغيُّرها المستمر جيلاً بعد جيل، فتدخل عليها كلمات جديدة من لغات أخرى، وتختفي كلمات كانت مستعملة؛ تبعًا لسنَّة النُّشوء والارتقاء اللُّغوي، فالتَّطوُّر اللُّغوي: أمر حتميٌّ،

ولكن تبقى اللُّغة السِّياج المنيع الذي يحمي الهويَّة الدينيَّة، وهي خطُّ الدِّفاع الأوَّل عن ثقافة الأمَّة وكيانها.

ويتشرَّب الإنسان – اكتسابًا – اللُّغة والثَّقافة، وكيفيَّة التَّفاعل مع بيئته اللُّغويَّة، وهذه البيئة تتغيَّر وتتشكَّل بالأحداث التَّاريخيَّة المتغيِّرة، والأجيال المتعاقبة – فكرًا وطبعًا – مُشكِّلة بذلك الحضارة الإنسانيَّة بما تحويه من تفاعلات اجتماعيَّة معقَّدة مع التَّاريخ والحضارات والهويَّات الحضاريَّة الأخرى، ثمَّ يبدأ هذا الإنسان في بيئته اللُّغويَّة بالتَّواصل مع المجتمع المصغَّر أولاً، ثمَّ يتَّجه نحو المجتمع الأكبر مطوِّرًا بذلك شخصيَّته من خلال أنماط متعدِّدة للوجود الإنساني، ومن خلال اتِّصاله بمن حوله: يبيِّن الإنسان هويَّته الثَّقافيَّة معبرًا عن نفسه من خلال لغته.

واللُّغة أهم جوانب الثَّقافة وأقوم معالمها، فهي أداة التَّواصل والتَّفكير، والذَّاكرة النَّشطة للأصالة، والتَّجديد، والعادات، والأعراف؛ لما تحمله من مكسبات الشَّخصيَّة، وخصوصيَّات اجتماعيَّة(١).

وتمثل اللُّغة العربيَّة إحدى اللُّغات الرَّسميَّة السِّت المعتمدة من قِبَل الأمم المتَّحدة، وهي صاحبة تأثير متفاوت على عدد من

(١) عرسان، د. علي عقلة: **ثقافتنا والتَّحدي خطابنا وخطاب العصر**، ط١، منشورات اتحاد الكتَّاب العربي، دمشق، ٢٠٠١، ص ٢١.

اللُّغات، مثل: الفارسيَّة، والتُّركية، والأرديَّة، والإسبانيَّة، ولغة البهاسا الملاويَّة، وعدد من اللُّغات الأفريقيَّة.

بيد أنَّ هذه اللُّغة تعيش اليوم تحت وطأة ضغطين متقابلين، يتمثل **الأول** في: تمدُّد اللُّغات الأجنبيَّة على إيقاع العولمة المتسارع، ويتجسَّد **الثَّاني** في: تعاظم اللَّهجات المحليَّة وسيادتها على حساب اللُّغة الفصحى.

وتبدو المعضلة متماثلة – إلى حدٍّ ما – في مختلف أقطار الوطن العربي، مع تبايُن في الحجم، وفي السِّياقات الكليَّة للمسبِّبات والحيثيات.

ويمكن القول بشيء من الحذر: إنَّ جذور أزمة العربيَّة هذه في الوطن العربي تعود إلى القرن السَّادس عشر الميلادي، وذلك مع وصول القوى الأوروبيَّة إليها، وإقامتها فيها قرونًا من الزَّمن.

التمهيد

العربية وعوامل الأزمة في ظل العولمة

تواجه العربيَّة تحديَّات شرسة في الوسط الثقافي والفكري من قبل قوى العولمة المختلفة المتمثَّلة في المصالح الماديَّة النَّاجمة عن الاتَّصال بالأجنبي، مع وجود التَّأثير الإعلامي القائم على التَّبشير بكلٍّ جديد دون النَّظر إلى عواقبه داخل الكيان الثقافي.

ومبدئيًا يمكن تشخيص ثلاثة عوامل رئيسة ساهمت في تشكيل ما يمكننا أن نطلق عليه الإطار الرَّاهن لأزمة اللُّغة العربيَّة في ظل العولمة.

تمثَّل العامل **الأول** في التَّحول التَّاريخي للبنى الدِّيمغرافيَّة باتجاه سيطرة العنصر غير العربي؛ إذ بدا حجمَ العمالة الآسيويَّة في ارتفاع مستمر منذ مطلع سبعينيَّات القرن الماضي، وبات المواطنون الخليجيُّون أقليَّة في عدد من دولهم.

وقد تزاوجت هذه المعضلة مع معضلة أخرى تمثَّلت في: انتقال العرب من دول لأخرى للعمل؛ نظرًا لضعف الحالة الاقتصاديَّة في بلادهم، ولتحسين الدَّخل.

أضف إلى هذا: التَّزاوج معضلة أخرى تمثَّلت في: ضعف التَّعليم في مرحلة ما قبل المدرسة في دول المنطقة، وأخذه في الغالب طابعًا ترفيهيًّا لا تعليميًّا – هذا إن وجد أصلاً –؛ إذ إنَّ ثقافة التَّعليم في مرحلة ما قبل المدرسة شبه غائبة، ولا ينظر إليها على أنَّها من الأمور الضروريَّة التي تشكل لبنة أوليَّة في مسيرة الطِّفل التَّعليميَّة.

ويتمثَّل العامل **الثَّاني** لأزمة اللُّغة العربيَّة في: ضعف الإنتاج المعرفي بصفة عامَّة، والأدبي واللُّغوي منه بوجه خاص. وربما لا يحتاج إلى كثير عناء من يريد تلمُّس هذا الضعف كمًّا ونوعًا.

ونجد هذا الضَّعف وخلفياته في هيمنة الثَّقافة الاستهلاكيَّة على جيل ما بعد الطَّفرة النِّفطيَّة، وضمور روح الإبداع لدى عدد من أفراده، وضعف مناهج التَّعليم وسيطرة اتجاهات الحفظ والتَّلقين عليها، وتأثر الأفراد العرب المنتقلين إليهم للعمل ونقل هذا التَّأثر إلى مجتمعاتهم.

ويتمثَّل العامل **الثَّالث** في: معضلة الحداثيِّين الجُدد؛ لأنَّ التَّيار القومي يتحمَّل جزءًا من مسؤوليَّة هذا الإخفاق المديد لواقع اللُّغة والثَّقافة العربيَّة، فهذا التَّيار لم يبادر في أوجِّ حضوره الجماهيري للاعتناء بصون وتعزيز اللُّغة والأدب العربي، على

الرُّغم من وضعه ذلك في صلب شعاراته.

وما يمكن قوله بوجه مجمل هو أنَّه فيما يتعلق بصون وتطوير اللُّغة والأدب العربي وعلم اجتماع الثَّقافة العربيَّة فإن تجربة التَّيار القومي في الخليج قد تباينت عن نظيراتها في كل من وادي النِّيل والمشرق العربي، ومنطقة المغرب العربي الكبير؛ ممَّا زاد التأثير على وضع العربيَّة إقليميًّا، ومحليًّا.

وهذا المتغيِّر الكبير في البيئة السيِّاسيَّة للمنطقة رمى بتداعياته البعيدة المدى على كافَّة جوانب الحياة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، وأثَّر في وضع اللُّغة العربيَّة.

وإذا كان هذا هو مسار التَّاريخ فإنَّ الحاضر بدا هو الآخر مفعمًا بالتَّحديات، وبدت اللُّغة والثَّقافة العربيَّة مرة أخرى في وجه العاصفة.

وانطلاقًا من هذه الخلفيَّة المعرفيَّة سنتعرض لهذه النِّقاط:

- الإطار المعرفي لمنطوق العولمة.
- الثَّقافة العربيَّة وظاهرة العولمة من خلال توجهات الفكر الغربي مع رؤية نقديَّة تحليليَّة لثقافة العربي من العولمة.
- التطبيقات المعاصرة في ظل العولمة:
  - العربيَّة والإعلام.
  - العربيَّة والمعالجة الآليَّة.

- العربيَّة واللُّغات الأجنبيَّة.

- العربيَّة بين العولمة والهويَّة الإسلاميَّة.

دكتور/ عمرو خاطر عبد الغني وهدان

كلية العلوم والآداب – جامعة طيبة



الفصل الأول

الإطار المعرفي لمنطوق العولمة

الفصل الأول

الإطار المعرفي لمنطوق العولمة

يعد منطوق العولمة من أكثر مفاهيم القرن العشرين انتشارًا واستهلاكًا في دنيا الثّقافة وفي عالم المعرفة، والعلوم. ويعود هذا الانتشار الكبير إلى المرونة الهائلة لهذا المنطوق في التّعبير عن أخطر مراحل تطوُّر الإنسانيَّة في مختلف مستويات الوجود، والحياة الإنسانية المعاصرة.

وقد كثرت التّعريفات التي أطلقها الباحثون والدّارسون لهذه الظّاهرة التي تلفُّ العالم، والتي ذهبوا في تفسيرها والحديث عن آثارها كلَّ مذهب.

العولمة في العربيَّة ترجمة لكلمة Globalization في الإنكليزيَّة، وتقابلها Mon-dialisation في اللغة الفرنسية. وهي حديثة في اللُّغة العربيَّة. وتعود في أصلها الاستثقافي العربي إلى كلمة عالم، وتعني: تعميم الشيء؛ ليصبح عالميًّا، أو نقله من حيز الخصوصيَّة إلى مجال العموميَّة في مستواها الكوني. ويغطي هذا المفهوم التّطورات المذهلة التي شهدها المجتمع الإنساني في مجال الاقتصاد، والمال، والتّسويق بالتّوازي مع التحّولات النّوعيَّة التي شهدها في مجال الاتّصال، والمعلوماتيَّة، والانفجار المعرفي. ويعبر عن هذه التّوحلات وتكاملها بتعبير القرية

الكونيَّة Global Village الذي يرمـــز إلـــى حالـــة التَّكامـــل والاندماج بين أطراف العالم اقتصاديًّا، ومعلوماتيًّا، وثقافيًّا، حيث تتوارى الحدود والحواجز الجمركيَّة، والثَّقافيَّة، والمذهبيَّـــة بـــين مكونات الوجود الإنساني.

العولمة في أبسط تعريفاتها وأكثرها إجرائيَّة سهولة حركة النَّاس، والمعلومات، والأموال، والأفكار بين مختلف الدُّول على نطاق الكرة الأرضيَّة[1]. وتُعرف سياسيًّا بأنَّها: «عمليَّـــة تحـــول تستهدف الانتقال من وضع الدَّولة بحدودها وقوانينهـــا ونظمهـــا وقراراتها إلى وضع جديد يتخطَّى بعض ذلك أو كلَّه سعيًا نحـــو تداخُل وتفاعُل ومشاركة تتَّجه إلى عالم متفاعل يـــتمُّ فيـــه زوال كثير من هذه الحواجز أو في النِّهاية كلها فتتحـــوَّل إلـــى عـــالم واحد»[2].

بينما يرى السَّيِّد ياسين أنَّ العولمة واقعٌ تاريخيٌّ؛ ومن ثـــمَّ يُعرِّف العولمة بأنَّها: «ليست مجرد مفهوم، وإنَّما هـــي: عمليَّـــة

---

(١) يكن، فتحي: **العولمة الحقيقة والأبعاد**، مؤتمر كليـــة الـــشريعة، بعنـــوان (ملامح استراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن القـــادم)، الكويـــت، ١٩٩٩م، ص٣.

(٢) عبد المعطي، يوسف: **العولمة إلى أين؟** مجلة التربيـــة ، وزارة التربيـــة، الكويت، العدد ٣٤، السنة العاشرة، يوليو، ٢٠٠٠م، ص ٦٤.

تاريخيَّة ونتاج تراكم طويل في إطار النِّظام الرأسمالي، وهـي: مفهوم أيضًا تستخدمه في التَّحليل العلمي، لكن لو اقتصرنا علـى الزَّعم بأنَّها مجرَّد مفهوم نستطيع أن نقبله أو نرفضه أو نستبدله فإنَّ هذا يُعتبر عدم فهم لهذا الموضوع أصلاً»(١).

ويتشابه – إلى حدٍّ ما – تعريف السيد ياسين مع تعريـف صادق العظم الذي يرى أنَّ العولمة: الحلقة الأعلى من حلقـات تطور الرّسماليَّة، وأنَّها إعادة إنتاج النِّظام الرأسمالي على صورة عولمة إنتاجيَّة يقول: «العولمـة هـي وصـول نمـط الإنتـاج الرأسمالي إلى نقطة الانتقال من عالميَّـة التَّبـادل، والتَّوزيـع، والسُّوق، والتِّجارة، والتَّداول إلى دائرة عالميَّة الإنتـاج وإعـادة الإنتاج ذاتها هي بهذا المعنى رسملة العالم على مستوى العمـق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النَّمط ومظـاهره قـد تمَّت»(٢).

والتَّعريفان السَّابقان يُظهران العولمة من الوجهة التَّاريخيَّة. أمَّا الوجهة الاقتصادية، فيعرض لها محمد عابد الجابري الـذي

---

(١) ياسين، السيد: **العولمة فرص ومخاطر**، تحرير د. شبل بدران، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠.

(٢) العظم، صادق جلال: **عولمة وثقافة**، المجلـة العربيـة للثقافـة، الأردن، سبتمبر، ٢٠٠٠م، ص ٢١.

يرى أنها ظاهرة أيديولوجيَّة تعكس الهيمنة على العالم؛ إذ يقول: «ليست العولمة مجرَّد آليَّة من آليَّات التَّطور التِّلقائي للنِّظام الرَّأسمالي، بل إنها، أيضًا، وبالدرجة الأولى، دعوة إلى تبنِّي نموذج معين (...)، إنَّها تعكس مظهرًا أساسيًا من مظاهر التَّطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، بل هي أيضًا - إيديولوجيًّا - تعبِّر بصورة مباشرة، عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته»(١).

وهذا البُعد الأيديولوجي الذي رأيناه عند الجابري له صدًى عند عبد الإله بلقيز الذي يرى العولمة «فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثَّقافات، إنَّها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف - المسلح بالتَّقانة - فيهدر سيادة الثَّقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عمليًّا العولمة»(٢).

ويُجاري الطَّيِّب التِّيزيني هذه الرُّؤية الأيديولوجيَّة، فهي عنده «نظام اقتصادي، سياسي، اجتماعي، وثقافي، يسعى إلى ابتلاع الأشياء والبشر في سبيل تمثُّلهم، وهضمهم، وإخراجهم

---

(١) الجابري، محمد عابد: **العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات**، مجلة فكر ونقد، العدد ٦، فبراير ١٩٩٨م، ص ٨.

(٢) بلقزيز، عبد الإله: **العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر، ١٩٩٧م، ص ١٨.

سلعًا»[1].

ويتَّجه برهان عليون اتجاهًا آخر عن سالفيه فيعرِّفها مركِّزًا على أهميَّة الجانب السِّياسي، والتِّكنولوجي، حيث يرى في العولمة «ديناميكيَّة جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدَّوليَّة من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسُّرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التَّقنية والعلميَّة للحضارة يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنيَّة المكونة لهذه الدائرة المندمجة؛ ومن ثم لهوامشها أيضًا»[2].

ويستعرض الدكتور أحمد الضبيب الأطر المعرفيَّة لتلك الظاهرة، محدِّدًا كيفية التَّكوُّن والتَّشكُّل – وكذلك – الغاية والقيمة منها فيرى أنَّ كثيرًا من المثقَّفين «العرب عندما قرءوا أدبيَّات العولمة الغربيَّة أوّل الأمر ظنُّوا أنَّ العولمة، وبخاصة في صورتيها الإنتاجيَّة والماليَّة، تنطوي على تدويل متساو للإنتاج والمال بين دول العالم المختلفة، دون أن ينتبهوا إلى أنَّ هذا

---

(١) التيزيني، الطيب: **الواقع العربي والألفية الثالثة**، ندوات (حوارات في الفكر الواقع الغربي وتحديات الألفية الثالثة)، مراجعة وتدقيق ناصف نصار، العدد ٣، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ٢٠٠١م، ص ٢١.

(٢) عليون، برهان: **العرب وتحديات العولمة الثقافية مقدمات في عصر التشريد الروحي**، محاضرة ألقيت في المجمع الثقافي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إمارة أبو ظبي، أبريل، ١٩٩٧م، فرَّغها كتابيًّا د. عمرو خاطر.

التَّدويل يصبُّ بالدَّرجة الأولى في مصلحة دول المركز في أوروبا وأمريكا، وأنَّ دور دول الهامش – كما سمَّاها فارلشتاين في نظريَّته الاجتماعيَّة المتعلِّقة بالنَّسق العالمي منذ ما يقارب العشرين عامًا – ليس إلا دورًا ضئيلاً يتمثَّل في إيجاد القاعدة لمؤسسات التَّمويل الضَّخمة والشَّركات المتعدِّدة الجنسيَّات؛ كي تنتج بضاعتها من خلال مراكز قد تَستخدم فيها الأيادي العاملة الرَّخيصة والمواد الأوليَّة المتوافرة، إن وجدت. وإلا استوردَتها الثِّنتين وكانت الدَّولة المضيفة مجرد قاعدة للإنتاج والتَّوزيع عليها وعلى دور الجوار.

وبمعنى آخر تتحوَّل هذه الدَّولة، أو تلك إلى قاعدة للاستهلاك وبخاصة إذا كانت من الدُّول ذات الموارد الطَّبيعيَّة»[1].

وهذا الوضع – كما وصفه لنا – لم يختلف كثيرًا عمَّا كان عليه الأمر في المرحلة الاستعماريَّة الأوروبيَّة للعالم، حين ساد نوع من التَّبادل غير المتكافئ بين دول الهامش والمركز[2].

---

(١) الضبيب، د. أحمد: **اللغة العربية في عصر العولمة**، ط١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ص ٢٣.

(٢) انظر: بيرجيسن، ألبرت: **قلب نظرية النسق العالمي رأسًا على عقب في ثقافة العولمة**، إعداد مايكل فيذرستون، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس

فقد تسبب الاستعمار الأوروبي للعالم في: «إقامة نظم اقتصاديَّة – اجتماعيَّة منبَّتة الصِّلة بالتَّاريخ الوطني والقومي الأصيل للمجتمعات المستعمَرة، فبعد أن كانت هذه المجتمعات تنتج وتتاجر لنفسها ومع بعضها البعض ومع غيرها على قدم المساواة ولو بشكل تقريبي، أصبحت هذه المجتمعات تنتج وتتاجر لغيرها»(١).

وقد أثبتت نظرية المركز والهامش وجودها عمليًّا، بشكل أو بآخر، في العصر الحديث الذي يكثر فيه الكلام عن العولمة وتأثيراتها المختلفة. وبعيدًا عن التَّعقيدات الاقتصاديَّة تبدو العولمة في أوضح صورها ظاهرة تكرِّس الهيمنة المركزية لدول الشَّمال المتقدِّمة على دول الجنوب النَّامية أو المتخلِّفة، ومن خلال هذه الهيمنة تفرض شروطها الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة.

ومن خلال هذا الجدل الدَّائر حول منطوق العولمة، ينظر المفكرون العرب إلى العولمة نظرات مختلفة حول إيجابيَّات العولمة وسلبيَّاتها.

الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٩.

(١) عيسى، محمد عبد الشفيع: **رؤية إلى المستقبل العربي في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٦٤.

والسَّاحة الفكريَّة العربيَّة حُبْلى بهذا الجدل. ويأخذ المثقَّفون العرب – غالبًا – موقفين متناقضين، فهناك من يهاجم العولمة، ويرفضها؛ لما تنطوي عليه من خطر.

فهي خطر على الدِّين، والهويَّة عند جماعة منهم، وفعل دنيوي لا علاقة له بالدِّين، وهي الوجه الآخر البغيض للهيمنة الإمبرياليَّة الأمريكيَّة على العالم(١).

وينتهي الموقف الآخر بالقبول الصَّاغر مع التَّهليل والتَّكبير؛ لما تنطوي عليه من إيجابيَّات؛ ومن ثمَّ يرونها ضرورة حضاريَّة، تبشِّر بوعود مشرقة للجميع.

وباختصار هناك الموقف الذي يدعو إلى الإقبال الأعمى على الثَّقافة في عولمتها دون تمحيص أو نقد، وهناك موقف الرَّفض المطلق لتلك الثقافة دون منطق أو تبرير الذي يقوم على الشُّعور بالدُّونيَّة والنَّقص(٢).

إضافة إلى الموقفين السَّابقين فهناك من يرى أنَّ العولمة

---

(١) عبيد، نايف علي: **العولمة والعرب**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢١، يوليو ١٩٩٧م، ص ٢٧.

(٢) عواض، علي عبد الرحمن: **العربي في عيون عربية**، ضمن ندوة: نحو إطار حضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين، والتي أقيمت بدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي [١٥ – ١٨] نوفمبر ١٩٩٤م، تحرير، موزة غباش، ج١ ص ٥٣.

ظاهرة تاريخيَّة حتميَّة تفرض نفسها في الواقع الثَّقافي، واللُّغوي؛ ومن ثمَّ فإنَّه لا ينفع معها الهجوم أو التَّهليل والتَّصفيق.

وقياسًا على هذا الواقع الحتمي، وإسقاطاته الثَّقافيَّة في واقعنا بين المتغيِّر والثَّابت من القيم سنعرض للاتجاهات الفكرية وموقفها من العولمة، ثم نشفع لذلك بالتطبيقات المعاصرة وآثارها الإيجابيَّة والسَّلبيَّة، ونختم بتوضيح العلاقة بين الهويَّة والثَّقافة الإسلاميَّة في ظل عولمة العصر.



الفصل الثاني

الثقافة العربية

وظاهرة العولمة وتطبيقاتها

الفصل الثاني

الثقافة العربية وظاهرة العولمة

وتطبيقاتها

أولاً: توجهات الفكر العربي من العولمة:

(١) التوجه الرافض المقاوم للعولمة:

يلحظ أنصار هذا الاتّجاه أنّها بنية من التّحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانيّة برمّتها. وهي فعل حضاري يفيلق المجتمعات وينظّمها في طرازات ذوقيّة واستهلاكيّة محدّدة، فالعولمة تتوغّل بمؤثراتها إلى أعماق النّفس الإنسانيّة فتحاصر هذه الأعماق وتغرس فيها صنميّة السّلعة والرّبح واللّذة. إنّها تقتحم تلك المناطق من الخيال والنفس التي اعتبرت دائمًا منذ الفلسفة التي اعتبرت دائمًا منذ الفلسفة الكلاسيكيّة الألمانيّة معقلاً أخيرًا يستحيل اختراقه على المنطق الأداتي لرأس المال[١].

ويدركون أنّ هذا الاتجاه: الخطر الدّاهم والتّحديّات الكبرى التي تفرضها العولمة في مختلف مجالات الحياة الاقتصاديّة، والثّقافيّة، والتربويّة. فالعولمة في منظورهم: شر مستطير تحمل

---

(١) باروت، محمد جمال: الدولة والنهضة والحداثة مراجعة نقدية، ط١، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٠م، ص١٢٩.

إلى الإنسانيَّة مخاطر تفوق حدود التَّصورات وتتجاوز ومضات الخيال. إنَّها ترمز في بداية حالتها اغترابيَّة عند الإنسان يفقد فيها جوهره الإنساني؛ ليسقط في مستنقع استلاب. وتتمثَّل هذه الغربة الشَّاملة التي تنذر بها العولمة في ازدياد نسبة البطالة بلا حدود، وتحوّل المجتمع الإنساني إلى الطَّابع الاستهلاكي، وتحوّل الإنسان إلى البعد الواحد الذي يتمثَّل في قيمة الرِّبح والخسارة، وتراجع أنظمة التأمين الاجتماعيَّة، وانخفاض الأجور، والغزو الثقافي، وانهيار القيم.

ومن ثمَّ يرى مارتين، وشومن[1] أنَّ هذا التَّطور في تداعيات العولمة كما يقدِّره أهل الاقتصاد يرمي إلى إبعاد ٨٠% من قوة السُّكان إلى البطالة، وخارج سوق العمل؛ لأنَّ ٢٠% من القوة العاملة المؤهَّلة أليكترونيًّا ستؤدِّي وبصورة مثاليَّة لمختلف متطلبات العمل والإنتاج في المستقبل. وهذا يعني أنَّ ٨٠% من السُّكان سيخسرون ليس عملهم فحسب بل جوهرهم الإنساني انطلاقًا من أنَّ العمل نفسه يمثل جوهر الإنسان وقيمته.

ويؤكِّد هؤلاء أنَّ العولمة صيرورة وتحول تاريخي أراد له الأقوياء الثَّبات والمشروعيَّة، فَحولوها من ممارسة عفويَّة إلى

---

(١) انظر: بيتر ، هافس-شومان، هارلد: **فخ العولمة**، ترجمة عدنان علي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص ١٧.

صياغة واعية مشروعة، وهي بعد الصِّياغة وقبلها ليست طارئة ولا مفتعلة إنَّها مرحلة من مراحل الاستعمار والسَّيطرة، والأقوياء الذين ملكوا أزمة الأمور لن يفرطوا في رصيدهم، ولن يتحوَّلوا عن مكرهم وتدبيرهم؛ للتَّمكين لأنفسهم ولمصالحهم. إنَّ الإمكانيات المذهلة للغرب، والاكتشافات المثيرة في الآفاق، وفي الأنفس، والمطابخ السِّياسيَّة والفكريَّة واحتلال الفضاء وحرب النُّجوم والشَّركات العملاقة المتعدِّدة الجنسيَّات، والانفجار المعرفي والطُّوفان الإعلامي ومراكز المعلومات تتطلَّب منَّا صياغة محكمة وأسلوبًا ذكيًّا لمقاربة الأشياء.

وإذا كانت العولمة حركة تاريخية ضاغطة، تتّجه إلى صيرورة العالم واحدًا، وإزالة الحدود والحواجز التي تمنع هذه الوحدة، كما تتَّجه إلى تأكيد ثقافة واحدة متجانسة هي: ثقافة المال، والتِّجارة، والاستهلاك. ومع ذلك فإنَّ الواقع يضعنا في صورة مشهد آخر للعولمة قوامه العنف، والصِّراع، والتَّعصُّب، والحروب العرقيَّة والدِّينيَّة من كل جنس ونوع[1].

فالعولمة الموجَّهة من قبل الشَّركات والمؤسَّسات الدوليَّة والعالميَّة ولاسيما من قبل الدُّول الصِّناعيَّة: توظف مختلف

(١) انظر: حجازي، مصطفى: **العولمة والتنشئة المستقبلية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، العدد ٢، ١٩٩٩م، ص ٢٨.

التّناقضات في مصلحة العولمة ذاتها وفي خدمة استراتجيتها. فهناك اليوم مؤسسات عولميَّة تسعى إلى تفجير الأزمات؛ ومن ثم فهي تعوّل على أرباح كبيرة في ميدان إيجاد الحلول لهذه الأزمات التي – غالبًا – ما تكون ضروريَّة لاستمرار بعض الشّركات والقوى الفاعلة في مجتمع العولمة. فافتعال الأزمات وتجاوزها وإنتاجها وإعادة إنتاجها فعل عولمي وشريان حيوي في حركة العولمة وتنامي طاقاتها. فالحروب تعني، بالنسبة للدّوائر الصّناعيّة والشّركات الصّناعيَّة الكبرى، دورة اقتصاديَّة مهمَّة في بيع السّلاح، وإعادة إنتاجه، وزيادة الأرباح. ومن جهة ثانية يلاحظ أنَّ هذه الحروب والخلافات تضعف بعض المجتمعات وتجعلها في قبضة العولمة والشّركات الاحتكاريَّة الكبرى. ومثال ذلك: أنَّ التّقارب بين الدُّول العربيَّة يهدِّد المصالح الغربيَّة في المنطقة؛ ولذلك فإنَّ إبقاء المنطقة العربيَّة في حالة تشتُّت ونزاع وصراع يُعد أمرًا جوهريًّا في حركة العولمة الأمريكيَّة وديناميَّاتها. وباختصار فإنَّ العولمة تؤدِّي إلى تنيمط الثّقافة المحليَّة وتقويضها، وتعمل على تهميش الثّقافة العربيَّة الإسلاميَّة وتكرِّس تبعيَّتها ودونيَّتها. إنَّها تضع المجتمعات، كما أنَّها تسعى إلى تذويب الهويَّات القوميَّة والوطنيَّة

عبر مختلف الأدوات والتّقنيّات المعلوماتيّة[1].

(٢) التوجه الموافق مطلقًا:

تمتع العولمة بإغراءات لا مثيل لها ألبتة متمثلة في الحاسب الآلي وثورة المعلوماتيّة، وطرق الاتصال عبر الشبكات المتنوّعة، وفعاليّات الحداثة[2].

أضف إلى ذلك معضلة الحداثيِّين إزاء الثّقافة العربيَّة فإنَّهم يرون أنَّ ثقافتنا العربيَّة حُبْلى بكل مظاهر القصور والسَّلبيَّات والجمود، والتَّخلُّف الثَّقافي، مع انتشار الأميَّة، والتَّعصُّب الطَّائفي؛ ومن ثمَّ فإنَّهم لا يخشَوْن مجيء العولمة؛ لأنها ستصحِّح هذا الوضع المتردي لواقع الأمة، يقول علي حرب – متزعِّمًا هذا الاتِّجاه –: «إنَّ المثَّقف العربي الحداثي إذ يتشبث بهويَّته فإنَّه يحجب غربيَّته وعالميَّته؛ إذ لم يعد الآخر في صفائه وأصالته بل هو الآخر كما صنعته علاقته بالغرب المهيمن والمسيطر». ويستغرق حرب في هذا الاتِّجاه إذ يقول: «فالمثَّقف العربي إذ

---

(١) انظر: أسعد، د. علي عبد الغفور، د. محمد: **الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٤١، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م، ص ١١٠.

(٢) الخياري، عبد الله: **التعليم وتحديات العولمة**، مجلة فكر ونقد، العدد ١٢، السنة الثانية، ١٩٩٨م، ص ٤٥.

يجابه الغرب مدافعًا عن هويَّته فإنَّه يتحدَّث غالبًا بلغة الغرب ويستعير وجهه أو يضرب بيده أعني يستخدم أدواته»[1]. وينتهي حرب إلى دعوة إسقاط الذَّاكرة واللُّغة والتَّاريخ في سبيل الخروج من الأزمة الثَّقافيَّة التي يعانيها المثقَّفون العرب بقوله: «إذا كانت الصُّدفة نصت بأن أكون عربيًّا مسلمًا فلا ينبغي للغتي وذاكرتي أن تكون قيدًا يكبلني أو عبئًا أجره ورائي»[2]. وكأن اللُّغة والذَّاكرة أي الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة هي قد تمنع الإنسان من الإبداع.

وعلى هَدْي علي حرب يسير السَّيِّد ياسين، حيث يقول: «إنَّ خصوصيَّتنا الثَّقافيَّة الآن تتضمَّن الفقر والجهل والاستبداد السِّياسي وهو ما يخاف عليه البعض بشدَّة»[3]. وفي سياق آخر يقول: «إنَّ العولمة لا تخيفني، ففيها فرص وفيها مخاطر. لا شكَّ فيها مخاطر عظمى وفيها فرص ووعود، فمن المفترض أنَّ هذه العولمة ستهزّ هذا المجتمع المترهِّل الجامد وترقى به إلى مستوى التَّحديَّات الموجودة»[4].

---

(١) حرب، علي: **غزو ثقافي أم فتوحات فكرية**، الفكر العربي، العدد ٧٤، السنة الرابعة عشرة، ١٩٩٣م، ص ٦٩.

(٢) حرب، علي: مرجع سابق، ص ٧٣.

(٣) ياسين، السيد: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٤) ياسين، السيد: مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) التوجه الانتقائي للعولمة:

يقول مصطفى حجازي: «فكما أنَّه لا يجوز التَّسليم الأعمى للعولمة، فإنَّه ليس من المصلحة رفضها انطلاقًا من الأطر الذِّهنيَّة المسبَّقة والمغلقة على كل مرونة جدليَّة. علينا أن نغير علاقتنا بأفكارنا؛ كي نغير علاقتنا بواقعنا وصولاً إلى الموقف الفاعل القادر وحده على صنع المكانة وأخذ الفرص»(١).

وانطلاقًا من هذه الرُّؤية الانتقائيَّة التَّوفيقيَّة للعولمة فإنَّهم يرون فيها: عطاءات التكنولوجيا، والحاسوب، والاتِّصال، وثورة المعرفة، بل هي أخصب عطاءات الحضارة الإنساننيَّة ولا يمكن للمرء أن يتجاهل أهميَّة هذه العطاءات وضرورتها للحياة الإنسانيَّة. ومن جهة أخرى يدرك أصحاب هذا الاتجاه أنَّ العولمة تحمل أيضًا، فيما تحمل، تحديَّات ثقافيَّة واقتصاديَّة وأنَّها متشبَّعة أيضًا بكثير من الجوانب السَّلبيَّة التي تتَّصل بالثَّقافة والقيم والإنسان. وانطلاقًا من هذه الرُّؤية فإنَّهم يرون إمكانيَّة الاستفادة من الإيجابيَّات ورفض السَّلبيَّات على نحو انتقائي.

ويقرر الرميحي هذا الاتجاه فيرى أنَّه ليس «متاحًا لنا أن نقوم بتمهيد الأرض من أجل الاستفادة من إيجابيَّات العولمة ومن

---

(١) حجازي، مصطفى: مرجع سابق، ص ٢٩.

جهة أخرى تخفيف ما أمكن من سلبياتها وذلك عن طريق التّثقيف الواعي؛ لأنّ الأفكار تجيء دائمًا قبل الأعمال وهو ما يعكس المغزى البعيد للعبارة التي تتصدَّر المدخل الرئيس لمبنى اليونسكو، التي تقول: (لما كانت الحروب تولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السَّلام)»[1].

(٤) التوجه الحتمي الموضوعي التاريخي للعولمة:

ينمو في الوسط الثّقافي، بل ويشتد اتجاه يرى أنّ العولمة ظاهرة تاريخيَّة تفرض نفسها بقوة الحتميَّة، وافتقار الضَّرورة التَّاريخيَّة، فهي ظاهرة تاريخيَّة موضوعيَّة تجسَّد دورة حضاريَّة تفرضها قوى تاريخيَّة لا تُقهر.

يقول كريم أبو حلاوة في هذا السِّياق، مميّزًا بين الظَّاهرة بوصفها حالة تاريخيَّة موضوعيَّة وبين الصِّراع الذي تخوضه بعض القوى الاجتماعيَّة بوصفها الجانب الإيجابي للعولمة: «يجب التّمييز في صيرورة العولمة، بين كونها حركة موضوعيَّة، ومسيرة طبيعيَّة، وشاملة للتطَّور الاقتصادي والتِّجارة الدَّوليَّة، وبين ما يلازمها وينتج عنها من حركات اجتماعيَّة وتوجُّهات إنسانيَّة (كحركة السَّلام، وحقوق الإنسان،

---

(١) الرميحي، محمد: **ثمن العولمة**، مجلة البيان الإلكترونية، ١٩ صفر ١٤٢١هـ.

ومنظَّمات حماية البيئة، والتوَّجهات الدِّيمقراطية، ومحاربة الفقر، وحوار الحضارات) والتي تمثِّل الجانب الإيجابي المتفائل من حركة العولمة»[1].

وهذا يعني أنَّ القبول والرفض لا يغيِّران من حقيقة العولمة، ولن يقللا من خطورتها؛ لأنَّ ظاهرة العولمة بما تنطوي عليه من ميكانيزمات اقتصاديَّة، وتقنية، وسياسيَّة، وإعلاميَّة، قد بلغت من الرُّسوخ والصَّلابة درجة من الصَّعب مواجهتها بشكل فعَّال عبر خطاب أيديلوجي فَقَد الكثير من بريقه النِّضالي ونقاط قوته السَّابقة؛ لبروز معطيات وعناصر جديدة في دائرة الصِّراع[2]. وفي هذا السِّياق يقول يوسف عبد المعطي: «ليست القضيَّة في أن نعلن رفض العولمة أو قبولها. فالعولمة عمليَّة تطوُّر تاريخي وتغيُّر تمرُّ به البشريَّة في هذه المرحلة من مسيرتها، ونحن حاليًّا نعيش وسْط دوامتها ونواجه خيرها وشرِّها شئنا أو أبينا»[3].

وتجاري بشرى المفلح، كريم أبو حلاوة في وصف الظَّاهرة بأنَّها مرحلة تاريخيَّة وصلت إليها البشريَّة كنتيجة

---

(١) أبو حلاوة، كريم: **الآثار الثقافية للعولمة حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة**، عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٢٩، ٢٠٠٠م، ص ١٨٢.

(٢) أبو حلاوة، كريم: مرجع سابق، ص ١٨٢

(٣) عبد المعطي، يوسف: **عولمة إلى أين؟**، مركز البحوث التربوية ، وزارة التربية، العدد ٣٤، السنة العاشرة ، الكويت، ص ٧٣.

منطقيَّة للتَّراكم الحضاري الذي حققته، ومن هذا المنطلق لا يحق لنا أن ننظر إليها كأنَّها مرحلة غريبة عنَّا أو أن نحاول معاداتها وتجنب الانخراط فيها؛ وذلك لأنَّنا أمَّة لها حضارة عريقة في التَّاريخ؛ ولأنَّ تجنُّب هذه العولمة والهروب منها يعني أنَّنا لا نثق بحضارتنا وقدرتنا على الوجود والحضور(1).

ويقول عبد الله الخياري: «لا يمكن التَّخلص من العولمة بواسطة رفضها أو إعمال النَّقد الأيديولوجي ضدها؛ لأنَّها ظاهرة غامضة، تفرض نفسها بفعل قوة الأشياء، إنَّ آثارها تتسلَّل عبر الكلمات والأشياء التي نتداولها حاليًا مجبرة أنظمتنا، ومؤسساتنا، وهياكلنا الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة على الخضوع بتغيير ذي وتيرة عالية ... فالعولمة كالتَّيار الجارف تسير نحو مقاصدها بحيث لا يمكن للممانعة أو للرَّفض المطلق أن يجبرها على التَّوقف»(2).

وجملة القول عندهم أنَّ موقفهم من العولمة يجب أن يأخذ صورة الموقف من ظاهرة تاريخيَّة بأبعادها الثَّقافيَّة،

---

(1) المفلح، بشرى: **ندوة حول مستقبل الأمة التربوي في ظل العولمة الثقافية**، تحرير محمد خالد، ومريم التاجي، وجلنار فهيم، مجلة الشقائق، العدد ٣٥، ٢٠٠٠م، ص ١٧

(2) الخياري، عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٦.

والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة؛ وذلك لأنَّها نشاط تاريخي، وصيرورة موضوعيَّة، لا ينفع معها الرَّجم واللَّعن، كما لا ينفع معها التَّمني والتَّبجيل والدُّعاء. إنَّها ظاهرة تاريخيَّة تتطلب منَّا وعيًا تاريخيًّا بأبعادها وتحديَّاتها وظروفها التَّاريخيَّة، كما تقتضي إدراكًا للمناخ التَّاريخيَّ الذي استنبتت فيه وذلك من أجل بناء رؤية علميَّة تأخذ هذه الظَّاهرة بأبعادها التَّاريخيَّة وصيرورتها الموضوعيَّة.

رؤية نقدية لثقافة العربي من العولمة

نحن الآن أمام خضم من الرؤى الأيديولوجيَّة للمثقفين العرب تجاه العولمة، فهناك حالة فصام فكري بين الواقع والفكر العربي بمختلف اتِّجاهاته، حيث يفقد هذا الفكر في ظلِّ المعارك الأيديولوجيَّة قدرته على تحليل الظَّاهرة، وتفكيكها بصورة موضوعيَّة علميَّة، تكشف الغموض وتبدِّدا الأوهام.

يقول خلاف الشَّاذلي: «لقد دفعتنا الاعتبارات الأيديولوجيَّة إلى معارك نواجه فيها الخصوم بدلاً من حالة التَّوجه العلمي للبحث في ماهيَّة هذه الظَّاهرة وتفكيكها وتحليلها بصورة موضوعيَّة بعيدة عن كلِّ مظاهر الانفعال والارتجال، وذلك من أجل تقصِّي احتمالاتها وبناء منظومة معرفيَّة تساعد في تعزيز إمكانيَّات الثَّقافة العربيَّة في صدامها مع أخطر مراحل تطوُّر المجتمعات الإنسانيَّة»(١).

إنَّ المهمَّة الأساس التي تتوجَّب علينا كمثقَّفين ومربِّين في مرحلة العولمة، تتمثَّل في تحليل الواقع بكل ما يضجُّ فيه من أقوال، وأفعال، وممارسات، ومفاهيم، وتحديَّات؛ ومن ثمَّ العلم

---

(١) الشاذلي، خلاف خلف: **المجتمع العربي بين مخاطر العولمة الثقافية وتحديات ثقافة العولمة**، شؤون عربية، العدد ١٠٧، ٢٠٠١م، ص ٩٣.

على مواصلة النَّقد والتَّحليل باستمرار، من أجل تجديد الرُّوح الفكريَّة، وتأصيل المنهج العقلي في اتجاه الابتكار، والتَّجديد، والاجتهاد. وهذا يعني أنَّ رهان حركتنا إلى الأمام لن تكون أبدًا إلاَّ بإحداث هذه الثَّورة العميقة في المفاهيم، والأمزجة، والتَّصورات في إطار روح نقديَّة مغامرة وطموحة باتِّجاه وفي دائرة العمل على تجديدها وتنقيتها من سموم الركود والجمود المتصلِّب الآسن.

ومن ثمَّ فإن القبول بالعولمة لا يقتضي نفي الذَّات ولا جلدها، والرفض لا يقتضي مصادرة حقِّ الآخر ونفيه، وهذان التَّصوران القائمان عند الأكثرين لا يحقِّقان شيئًا من التَّعامل الإيجابي. فالعولمة قادمة، تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاهل، ولكن لن تكون ذات مستوى واحد ولا فعل واحد، والمتلقي هو الذي يحدِّد أسلوب المواجهة والتَّعامل، والغرب الذي ما فتئ يسكُّ المصطلحات خليطًا من خير وشر، وإذا أصاب الحكمة فيما يأتي فهي ضالتنا لا نسأل عن مصدرها.

إنَّ علينا أن نقبل بما لابد منه وندفع بالتي هي أحسن ما لا يتَّفق مع سياقنا الحضاري، والغرب.

ومع ذلك لابد أن ننتبه لتلك الملاحظات الثلاث:

الأولى: لا يمكن على الإطلاق أن ننكر ما تعانيه الثَّقافة العربيَّة المعاصرة من ظاهر مرضيَّة ومعاينات مرضيَّة فاضحة، ومع ذلك لا يمكن لأحد أن يتنكر لنسق متكامل من العناصر الإيجابيَّة، والأخلاقيَّة، والمعرفيَّة في هذه الثَّقافة؛ ومن ثمَّ لا يمكننا أن نتنكَّر لأهميَّة هذه الجوانب الإيجابيَّة التي تُوجد في كلِّ ثقافة، وفي كلِّ مجتمع من المجتمعات الإنسانيَّة.

الثانية: العولمة كما تؤكِّد دروسها اليوميَّة، ليست رسالة إنسانيَّة أخلاقيَّة، وهي في مسيرتها المعروفة وإيقاعاتها المألوفة، لا تعمل على تعزيز الديمقراطيَّة وتحقيق الحريَّة وقيم حقوق الإنسان. إنَّ هذه العولمة وتحت تأثير الإمبرياليَّة الأمريكيَّة تغرس قيم الإرهاب والرُّعب وتحافظ على أنظمة الاستبداد السِّياسي في الوطن العربي، وتعمل على إفقار المجتمعات العربية وتذويبها ثقافيًّا وحضاريًّا في نسق هامشي من الحضارة.

الثالثة: وبافتراض غلبة المظاهر السَّلبية في الثَّقافة العربيَّة مثل: الطَّائفيَّة والعشائريَّة والتَّسلط وغياب حقوق الإنسان وسيطرة العقليَّة التقليديَّة، فإنَّ هذا لا يدعونا للتفاؤل بتأثير العولمة بل يجب أن يدعونا هذا إلى المزيد من الحذر

والريبة والقلق. فهذه الأمراض الثّقافيّة تضعُف قدرة الثّقافة على المقاومة وذلك لغياب الرُّوح النّقديّة والتّعبئة الفكريّة في داخل هذه الثّقافة. وهذا يعني أنّ العولمة يمكنها أن تستأصل هويّة مثل هذه المجتمعات وتدمرها. فالثقافات المريضة تفقد القدرة على المقاومة وتسقط سريعًا في مستنقع الذّوبان والتّبعيّة، وذلك على خلاف الثّقافات القويّة النّقديّة الأسيلة التي تُعرف بإمكانياتها النّقديّة. فالثّقافات الأوروبيّة هي أكثر قدرة اليوم على مواجهة السّلبيّات والتّحديّات التي تفرضها مرحلة العولمة، وذلك على خلاف الثّقافات التّقليديّة التي لا تستطيع أن تناور وأن تناهض الضّغط الثّقافي الذي يُفرض عليها من قبل العولمة الثّقافيّة، فالعولمة الثّقافية أشبه ما تكون بالمرحلة الثّقافيّة التي تسوي الثّقافات الضّعيفة بالأرض بينما تُبقي على الهويّة شامخةً شموخ ما تمتلك عليه من قدرة وطاقة نقديّة[1].

ولكن نخرج من هذا المأزق الثّقافي وتداعيات لابد من بناء الرُّوح النّقديّة وإرساء أسس الفاعليّة الفكريّة، وإيقاظ هذه الرُّوح المتحفِّزة إلى تحليل الواقع، ومواجهة الحقيقة بالتفكيكّ، والتّحليل،

---

(١) أسعد، د. علي عبد الغفور، د. محمد: مرجع سابق، ص ١١٢.

والتَّعرية، والبناء. فالفاعليَّة الفكريَّة المثمرة، هي مساءلة وفحص عقلاني بقدر ما هي سبر وتحليل علمي، وهي مراجعة وإعادة نظر بقدر ما هي تخط وتجاوز، وهي تعرية وفضح بقدر ما هي كشف وتنوير، وهي تشريح وتفكيك بقدر ما هي تركيب وإعادة بناء، وهي تتجلى في رصد التَّحولات، أو في قراءة الوقائع والمجريات، أو في مواكبة المستجدات في المعارف والأفكار، فضلاً عن تشخيص المشكلات وتحليل الأزمات وتعتمد هذه المنهجية على منطق التفكيك، وهو «العمل النقدي على الذَّات والفكر الذي يقودنا إلى التحرر من ديكتاتورية الحقيقة المطلقة، ومن طغيان المعنى الواحد وهيمنة العقيدة الواحدة»[١].

وإذا اقتصرنا على الجانب الثَّقافي باعتبار اللُّغة هي أبرز معالمه نجد أنَّ الهيمنة الثَّقافيَّة تُعد نتاجًا مقصودًا أو غير مقصود لظاهرة العولمة فلا شك أن أذرعة العولمة الطَّويلة المتمثِّلة في الشَّركات المتعدِّدة أو المتعدية الجنسيَّات وشبكات الإعلام العملاقة والأخطبوطيَّة، وما يصاحب مواكب العولمة من أنماط السُّلوك والممارسات، يمثل اختراقًا صارخًا لخصوصيَّات الشُّعوب وثقافاتها. الأمر الذي ينذر بالتَّهديد لهويَّات هذه

---

(١) حرب، علي: حوار الثقافات والخروج من المأزق، تمرس في سياسة معرفية جديدة، المنطلق الجديد، العدد ٣، ٢٠٠١م، ص ١١٥.

الشُّعوب، ولا شكَّ أنَّ الشَّأن الثقافي لكلِّ أمَّة هو الذي يحدِّد بقوة ملامح هويَّتها، وعندما نتكلم الآن عن الثَّقافة فإنَّما نـــتكلم عنهـــا بمنظورها الواسع المستمدّ من عقيـــدة الأمَّـــة ولغتهـــا وتراثهـــا المشترك.

ثانيًا: التطبيقات المعاصرة في ظل العولمة

(١) العربية والإعلام:

العربية الفصحى في رمقها الأخير في إعلامها العربي: المسموع، والمقروء، والمرئي؛ وذلك لأنَّ البعد الاستراتيجي للُّغة العربيَّة لم يكن ضمن اهتمامات السِّياسيِّين؛ لأن العربيَّة مرتبطة بفكرة الوحدة العربيَّة والثَّقافة القوميَّة، التي كانت وما زالت، من الشِّعارات التي لم تتجسَّد على أرض الواقع، وكان الأولى أن تبدأ خطوات الوحدة العربيَّة بالعمل على ترسيخ الهويَّة الثَّقافيَّة في المجتمع العربي، وتعظيم مكانها في الحياة، وفي مقدمتها: تقوية اللُّغة المشتركة وفرض احترامها والعناية بها[(١)].

فاللُّغة العربيَّة: لغة الدِّين والتُّراث والحضارة، وهي الرَّابط الوثيق بين أبناء هذه الأمَّة على اختلاف بلادهم ومذاهبهم.

فهل نحن مستعدون للتَّنازل عن هذه الميزة التي لم يعطها غيرها من الأمم تتمثَّل بهذا التَّواصل، والاستمرار اللُّغوي بين أبنائها منذ أقدم نصٍّ مكتوب؟

هل يُعد هذا الثَّبات اللُّغويَ القويم للعربيَّة بين لغات العالم والذي يتأبَّى على قانون تطوُّر جميع اللُّغات، ميزة أم نقيصة

---

(١) الضبيب، د. أحمد محمد: مرجع سابق، ص ١٧١.

للعربيَّة الفصحى؟

وهل التَّضحية بهذا الوضع الفريد للعربيَّة كلِّه لحساب لهجات محلِّية، أو لغات عاميَّة، أو لغات أجنبيَّة مكسب تناله الأمَّة العربيَّة يُسهم في تقوية الأواصر بينها ويوحِّد فكر أبنائها أمام ما يواجهونه من ثقافات في زمن أصبح المتباعدون فيه لغةً، وتاريخًا، وتراثًا يتجمَّعون ويحتشدون؛ طلبًا للمصلحة، ورغبة في الوصول إلى القوة؟

هذه التَّساؤلات تجسِّد الوضع الرَّاهن لغتنا في إعلامنا العربي، والإجابة عليها تؤدي بنا إلى القول: بأن من العبث والبلاهة أن يدار إعلامنا بطرق بعيدة البعد كله عن مصلحة الأمة العربيَّة، وهويَّة ثقافتنا، واستشراف مستقبلها بين الأمم.

ونحن لا نقصد في حديثنا عن العربيَّة في إعلامنا عن الأخطاء الإملائيَّة، واللُّغويَّة – فضلاً عن انحياز كثير من الإعلاميِّين إلى العاميَّة ونفورهم من الفصحى – فذلك أمر كان يقال عندما كانت اللُّغة غريزة في نفوس أبنائها، يخجلون من الخطأ فيها، ويحرصون على تنقيتها من الخلل والنَّقص.

وفي عصرنا هذا أصبحت الفصحى مهدَّدة، والعمل على إضعافها والقضاء عليها علنًا، من أعدائها ظاهرين، ومن قبل أبنائها الذين يعيشون في فوضى لغويَّة أدَّت في النِّهاية إلى غربة

الفصحى بين أبنائها، وعدم حرصهم عليها لعدم إحساسهم بقيمتها، أو ضرورتها لحياتهم.

ولقد كان المثقَّفون العرب يظنُّون أنَّ السبَّب في إضعاف العربيَّة يكمن في وجود الاستعمار، وفرض ثقافته، وهويته، كما ظنُّوا أنَّ هدفه: إضعاف الشَّخصيَّة العربيَّة، وربطها بثقافتهم، ولكن ما أن انقشع غبار الاستعمار؛ حتى تبيَّن أنَّ العلَّة لم تكن في الاستعمار، وإنما كانت بأسباب كثيرة، منها: الفتنة باللُّغة الوافدة، وغفلتهم عن أهمية الفصحى، وإصابتهم بالعمى الحضاري الذي جعلهم لا يبصرون طريقهم[1].

إنَّ من المؤسف أن يدخل العرب في عصر القرية الكونِّية الواحدة ذي الصِّراعات الثَّقافيَّة المتباينة، والقوى السِّياسيَّة المتناحرة عُزلاً بلا أسلحة ماديَّة أو ثقافيَّة، فالسِّلاح الثَّقافي أساس القوَّة الماديَّة الذي يستمدُّ قوَّته من العربيَّة لغة الثَّقافة الموحَّدة، وهي خطُّ الدِّفاع الأوَّل عن الهويَّة الإسلاميَّة.

والوضع اللُّغوي في وسائل الإعلام؛ نتيجة طبيعية للوضع المتردِّي لدى العرب جميعًا ولقد وصف هذا الوضع الأدباء والمثقَّفون، فمنهم من وصفها بالاضطراب[2]، ومنهم من وصفها

(١) الضبيب، د. أحمد محمد: مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٢) بشر، د. كمال: **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، ط١، دار غريب،

بأنَّها «لغة مهللة متخلِّفة لا تكاد تُحسُّ بين أبنائها، برغم ما تملكه ممن إمكانات ضخمة ووسائل متنوِّعة، وأسباب متعدِّدة تضمن لها البقاء والاستمرار ... وينظرون إليها نظرة ازدراء وامتهان، ويتعالون عليها في كل مناسبة، وبدون مناسبة، لغة يتبرَّأ منها مثقَّفوها على كلِّ المستويات، وفي شتَّى التَّخصُّصات، لغة لا يخجل من الخطأ فيها أحد ولا يسعى لإتقانها إنسان ولا يعبأ أن يجيدها مثقَّف»[1].

كما أنَّ «الرَّغبة في تعزيز الفصحى على حساب العاميَّات تملك طاقة رجعيَّة وتمويهيَّة، لكن الوجه الآخر للصُّورة أنَّها رغبة مستحيلة اليوم ... لاسيما مع لجوء وسائل الإعلام السَّمعيَّة والمرئيَّة المتزايد النُّفوذ، إلى استخدامها، فإذا اقتضت متطلبات التَّسويق: اعتماد الفصحى في عدد من النَّشاطات الثَّقافيَّة التي تصدَّر إلى خارج البلد المنتج فالملاحظ أنَّ هذه الفصحى البطيئة والخشبيَّة تثقل على تطور النَّشاطات المذكورة، خصوصًا في مجالي المسرح والأغنية»[2].

القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٧.

(١) عمر، د. أحمد مختار: **اللغة العربية بين الموضوع والأداة**، فصول، المجلد الرابع، العدد الثاني، يونيو ١٩٨٤م، ص ١٤٢.

(٢) صاغية، حازم: **وداع العروبة**، لندن، دار الساقي، ١٩٩٩م، ص ٦٦.

وقد تعالت في مصر في سنوات الاحتلال: دعوات وجوب استعمال العاميَّة لغة للثَّقافة والإعلام، سواء من المسئولين الإنجليز، أو مِن قبل مَن شايعهم من الكتاب المحلِّيين كسلامة موسى، الذي أعلن تأييِّده للإنجليز، والسُّوري: إسكندر معلوف الذي أشاد بالاتجاه إلى الإنجليزيَّة في التَّعليم المصري، كما أنَّه حضَّ المصريِّين على ترك الفصحى إلى العاميَّة، على أن يكون البدء بتحويل الإعلام المقروء إلى العاميَّة، والانطلاق فيما بعد إلى التَّأليف بها واتخذها وسيلة لتدوين العلوم والآداب[1].

وهكذا تُشجع العاميَّة؛ لتحل محل الفصحى، وأصبح الحسم واضحًا لصالح العاميَّة، وخاصَّة بعد ما تبنَّت وسائل الإعلام المرئيَّة والمسموعة من خلال القنوات الفضائية: التَّطبيق السَّريع لهذه التَّجربة، فقدَّمت بعض البرامج الثَّقافيَّة بالعامية، وأفلام الكرتون للأطفال ...

أضف إلى ذلك التَّساهل الشَّديد في اختيار المذيعين والمذيعات، تقول المذيعة المغربيَّة المتقاعدة لطيفة الفاسي: «المذيعات يُلقين نشرات الأخبار ملحَّنة، بمعنى أنَّها كثيرة الأخطاء ومُغنَّاة في نفس الوقت، فلا نطقهنَّ سليم، ولا أسلوبهنَّ

---

(١) الدسوقي، عمر: **في الأدب الحديث**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٦٤.

مقبول، ومن بينهنَّ من لا يستطيع فتح فمها كما ينبغي، والحروف تُبدل، فالظَّاء، والضَّاد، والدَّال، والذَّال كلها تصبح دالاً، والموضوع يُنطق: "المودوع"، وأعضاء الحكومة تُنطق: "وأعداء الحكومة"، والتَّاريخ يُنطق: "الطَّاريخ، وغيرها من الأخطاء الفاحشة التي نسمعها.

فالقناة المغربيَّة قدَّمت استقالة من اللُّغة العربيَّة منذ مدَّة طويلة، وليس هناك مسئولون يتحمَّلون مسئوليَّة إنقاذ اللُّغة العربيَّة التي تنتحر أمام أعينهم وهم صامتون، وأعتقد أنهم هم أيضًا لا يعرفون اللُّغة العربيَّة ولا يحبُّونها وإلا لما أصبحت مشوَّهة كما هي عليه الآن»(١).

وهذا الانتحار اللُّغوي الذي تمرُّ به وسائل الإعلام العربيَّة سيفضي بنا إلى تمزُّق لغوي، يجعل اللَّهجات العاميَّة: لغات وتتداخل هذه اللَّهجات؛ لنصبح في فوضى لغويَّة تقوِّض دعائم العربيَّة الفصحى لغة الهويَّة والثَّقافة.

وتأسيسًا لهذه الخلفية الموجزة للعربيَّة في ثقافة هذا العصر، فإن العرب إذا كانوا يتطلَّعون إلى تكتل اقتصادي وسوق مشتركة واحدة قويَّة يواجهون بها الأحداث المتلاحقة؛ فإنَّ أهم الأدوات

---

(١) صاغية، حازم: مرجع سابق، ص ٦٤.

التي يجدر بهم فعله: الحرص على بيئة متجانسة لغويًّا ولا شك أنَّ الفصحى هي المرشَّحة لهذا الهدف، فالعربيَّة هي لغة القرآن الكريم، ووجهة الحضارة ووعاء للتُّراث، فهي جديرة بتحقيق هذا التَّطلُّع.

إن الانسجام اللُّغوي يُعدُّ أهمَّ الوسائل الناجعة لنجاح الاقتصاد؛ لأنَّ الإنتاج الصِّناعي «يتطلَّب أساليب موحَّدة ومنظَّمة كما يحتاج إلى سكان متحرِّكين ومتجانسين، وعلى درجة عالية من التَّعليم، وهذه المتطلبات تعني استعمال لغة واحدة موحَّدة، عن طريق يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العمليَّة الاقتصاديَّة»[1].

ويتحدَّث كولماس عن مؤشرات التَّعدد اللُّغوي، وارتباطها بمتوسط دخل الفرد أو نصيبه من النَّاتج القومي في بعض بلاد العالم، فيلاحظ تدني متوسط دخل الفرد في البلاد التي تتعدَّد فيها اللُّغات مقارنة بالبلاد التي يقلُّ فيها هذا التَّعدُّد؛ ففي بريطانيا التي يبلغ سكانها ٥٧ مليون نسمة بلغ متوسط دخل الفرد سنة ١٩٨٨م ما يقارب ١٢٨١٠ دولارًا، بينما بلغ متوسط دخل الفرد في الفلبين ذات التِّسعة والخمسين مليونًا من السُّكان الذين يتكلمون

---

(١) كولماس، فلوريا: **اللغة والاقتصاد**، ترجمة د: أحمد عوض، ط١، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٤٨.

١٦٤ لغة ما يقارب ٦٣٠ دولارًا.

أمَّا اليابان التي بلغ عدد سكانها سنة ١٩٨٨م ما يقارب ١٢٢ نسمة والتي يتحدَّث السُّكان فيها خمس لغات فقد بلغ متوسط نصيب الفرد فيها من النَّاتج الإجمالي ٢١٠٢٠ دولارًا، بينما بلغ نصيب الفرد من النَّاتج الإجمالي القومي في إندونيسيا البالغ عدد سكانها ١٧٤ مليون نسمة يتحدثون ٦٥٩ لغة ٤٤٠ دولارًا فقط، ويوجز المؤلف ما توصَّل إليه البحث العلمي في هذا المجال بعبارة جوناثان بول وهي أنَّ «البلاد المجزأة لغويًا بشكل كبير بلاد فقيرة دائمًا»[١].

ومن ثمَّ فإنَّ التَّجانس اللُّغوي على مستوى الوطن الواحد له أثر بالغ في إحراز التَّقدُّم ونجاح التَّنمية. ويُعزى النَّجاح الذي حظيت به التَّجربة اليابانيَّة إلى التَّجانس اللُّغوي في البلاد، وسيادة لغة موحدة تنتشر على نطاق الوطن[٢].

كما أنَّ بعض الباحثين يعتقدون: «أنَّ التَّعدُّد اللُّغوي بين دول المجموعة الأوروبيَّة يُعدُّ عقبة أساس تحول دون انصهارها في كيان موحد»[٣].

---

(١) كولماس، فلوريا: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) كولماس، فلوريا: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣) علي، د. نبيل: العرب وعصر المعلومات، ط١، دار المعرفة، الكويت،

من أجل هذا – وإذا كنّا نريد نهضة حقيقيّة نتجاوز بها عثرات الماضي – نقول: إنّ إعلامنا يجب أن يتحمّل المسئوليّة؛ لإعداد العربي إعدادًا جيّدًا؛ لمجابهة المستقبل، فمن واجباته:

١- تعزيز الفصحى في نفوس العربي، وإشعاره بأهميّة الوعي بها واحترامها.

٢- إفساح مزيدًا من الوقت في إعلامنا المتنوع للفصحى.

٣- تنوُّع البرامج المتحدِّثة بالفصحى بوضعها في الإطار الجذَّاب المناسب لها؛ ومن ثمَّ ستؤدي عملها بطريقة تتفوّق بها على العاميَّة المحليَّة المحدودة؛ إذ يكفي أنَّها تخاطب جمهورًا عريضًا على امتداد العالم، وهذا الأمر في حدِّ ذاته مفيد للصِّناعة الإعلاميَّة التي تستطيع عن هذا الطَّريق: ترويج المنتجات الإعلاميَّة في مساحات لا حدود لها من العالم؛ ممَّا يزيد في ازدهار الإنتاج الإعلامي في جميع أنحاء البلاد العربيَّة، ويؤمِّن مردودًا اقتصاديًّا لا يُستهان به.

وعلى الجهات الرَّسميَّة المختصَّة أن ترصد الأموال؛ للتَّرويج إعلاميًّا للغة الفصحى من خلال الدِّعاية لها والإعلان عنها، وانتهاز الفرص للتَّعريف بأهميَّتها.

(١٤١٤هـ– ١٩٩٤م)، ص ٣٤٨.

إنَّ التَّرويج للُّغة القوميَّة عن طريق الحملات الدِّعائيَّة ليس أمرًا مستغربًا، فقد قامت به دول قبلنا من أجل إثـارة الـشُّعور القومي نحو الاعتزاز باللُّغة، وجعلها حاضرة في أذهان النَّـاس. ومن أمثلة تلك الحملات الدِّعائيَّة: حملة وكالة اللُّغـة الإيرلنديَّـة التي نفذت سنة ١٩٧٨م تحت شعار "لغتنا جـزء مـن كياننـا" وشملت الدعاية: الـصَّحافة، والإذاعـة، والتَّلفـزة، ولوحـات الإعانات، وكلَّفت أموالاً ضخمة، وكذلك الحملة التي تقـوم بهـا الحكومة الإندونيسية في شهر أكتوبر من كل عام بوصفه شـهر اللُّغة القوميَّة، والحملة الدعائية التي قامت بها حكومة سنغافورة؛ للترويج للغة الماندرين، وهي: اللُّغة الصِّينيَّة لبكين وغير ذلك(١).

كما يجب على الجهـات الرَّسـميَّة – أيـضًا – إصـدار التَّشريعات والأنظمة التي تحمي اللُّغة وتحميها مـن العبـث أو مزاحمة اللُّغات الأجنبيَّة لها، وهو أسلوب متحضِّر تمارسه كثير من دول العالم المتقدِّم، وليس خافيًا ما تقوم به فرنسا فـي هـذا الصَّدد بتطبيق قانون اللُّغة الفرنـسيَّة الـصَّادر سـنة ١٩٧٥م، وتضع بموجبه الغرامات على المخالفات اللُّغويَّة(٢).

---

(١) كولماس، فلوريا: مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٢) الضبيب، د. أحمد محمد: مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٢) العربية والحاسب الآلي:

هذا امتداد آخر للتَّحديات العربيَّة في ظلال العولمة، وهي ثورة الانفجار المعلوماتي في الأجهزة الحديثة من خلال الحاسب ومشتقاته ومع هذه الثَّورة في المعلومات فإنَّ المأزق الحضاري الحرج الذي تقع فيه الأمَّة العربيَّة يفضي بنا – كما يرى الدكتور نبيل علي – إلى الفزع لأنَّه قد «حلَّت بنا هذه الموجة العارمة، ونحن في أقصى درجات التَّشتت والفرقة مهدَّدين باضمحلال كياننا القومي تحت وقع ضغوط خارجية شديدة وقيود داخلية قاسية» ويستطرد في توصيف القيود الخارجية المتمثلة في: قيود سياسية، واقتصادية، وتكنولوجيَّة، وزمنية. ثمَّ يحلِّل القيود الدَّاخليَّة ويرصد منها: المناخ السَّائد – الذي أدَّى إلى تقلُّص طاقة الفعل لدينا إلى شعارات –، ومقيِّدات العنصر البشري – وعلى رأسها نقص أصحاب الرُّؤية المستقبليَّة وخبراء تقييم تكنولوجيا المعلومات –، والمقيِّدات التَّنظيميَّة، ومقيِّدات عدم التَّجانُس السِّياسي، والاقتصادي، والثَّقافي، ثم يعرِّج على التَّحدِّيات التي تواجه العربيَّة، ويجعل التَّحدي اللُّغوي: أحد هذه التَّحدِّيات؛ لدخول هذا العصر، واقتحام عزين المعلوماتيَّة الحصين(١).

إنَّ أهم ما يميِّز عصرنا هو التَّضخُّم المعلوماتي، وضرورة

---

(١) علي، د. نبيل: مرجع سابق، ص ٣٤٨.

الإحاطة باللُّغة العربيَّة؛ لمعالجتها وتحليلها وتنظيمها وفهرستها، الأمر الذي لم يعُد بإمكان الطَّاقات البشريَّة القيام به، هذا بالإضافة إلى أنَّ شيوع استخدام الحواسيب في عمليَّة التَّعليم والتَّعلُّم، أضحى حجر الزَّاوية للتَّزود بالعلم ومواكبة الفيض الهائل من المعلومات، ممَّا يدعو حتمًا ضرورة التَّعامل مع الحاسوب، وتطوير أدواته على قاعدة اللُّغة العربيَّة، أي: إدخالها في سياج التَّقنيات الحديثة، واستخدامها في ضوء الوسائل العلميَّة المتاحة؛ لكي تصبح أداة عمليَّة في مجال النَّشر الألكتروني؛ ومن ثمَّ يُفضُّ الاشتباك بين قواعد اللُّغة بأنظمتها والتَّطور التَّقني للحاسوب.

لأنَّ اللُّغة تُعد في هذا المضمار: الوجه اللامع والبارز في الخريطة الإعلاميَّة، وأساس كل المشاريع العلميَّة، لا باعتبارها أداة التَّخاطب والتَّواصل، والتَّعليم، والثَّقافة؛ بل لكونها أضحت معيارًا قائمًا على التَّحدِّي؛ لارتباطها بالتَّخطيط، والتَّصنيع، والتَّنمية، وأيُّ لغة لم تدخل مجال التَّقنيات الإلكترونيَّة ولم تستوعب التَّطور الحاصل في مجال الإعلاميَّات؛ فإنَّ مصير أهلها سيعرف تدهورًا وانحطاطًا.

وهكذا فإنِّ الإفادة الحقيقيَّة من تقنية الحاسب، وما ينتج عنها وما يحيط بها من علوم لن يُؤتي ثماره إلا بتعريب هذه التَّقنية،

ولن يكون هناك توعيَّة للعلوم والتِّقنيَّة عندنا إلا بالتعامـــل مـــع عصر المعلوماتيَّة من منظور عربي يستجيب لاحتياجات كل فرد من أفراد الأمَّة، ولا يكون ذلك إلا بلُغة موحَّـــدة منـــضبطة؛ لأنَّ اللُّغة «في مجتمع المعلومات لها الصَّدارة، كيف لا؟ واللُّغة أهـــم مقوِّمات ذكاء الإنسان محور هذا المجتمـــع، ومـــصدر الـــذَّكاء الاصطناعي للكمبيوتر أداة هذا المجتمع»[1]، كما أنَّ اللُّغة تلعب دورًا خطيرًا «في تصوير معماريَّة الكمبيوتر إلى درجة اعتبـــار كمبيوتر الجيل الخامس حاسبًا لغويًّا في المقام الأوَّل»[2].

وفي ظلِّ هذه المعطيات نحن بحاجة إلى لغة واحدة موحَّدة تُجرى عليها البحوث باهظة التَّكاليف، ونطوعها لهذه التَّقنية.

وليس غير العربيَّة الفـــصحى المهيـــأة بثرائهـــا العلمـــي والبحثي، وغِناها المعجمي، لغة يمكن أن تحمل هـــذه المهمَّـــة، وبغير ذلك سوف نعيش على الفُتات كمـــا عـــشنا فـــي القـــرن الماضي، ولن يُكتب لنا المشاركة فـــي حقـــل المعلوماتيَّـــة، أو الانتفاع من ثمراته.

فكم من الفوائد سوف يجنيها العربي لو تطـــوَّرت بـــرامج التَّرجمة الآليَّة لنقل العلوم والمعارف من اللُّغات الأخـــرى إلـــى

---

(١) علي، د. نبيل: مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(٢) علي، د. نبيل: مرجع سابق، ص ٣٤٩.

العربيَّة، وهي البرامج التي بدأت في لغتنا وليدة متعثِّرة بسبب عدم وجود البحوث العلميَّة المكثَّفة، والأموال الضخمة التي تسندها.

ونظرًا لعدم وجود دراسات لسانيَّة حاسوبيَّة متقدِّمة ومع ضمور هذه الدِّراسات الحاسوبيَّة لنا أن نتصور قدرة المعالجة الحاسوبيَّة للغة العربيَّة في إنجاز معالجات عميقة للنُّصوص العربيَّة؛ إذ أثبتت المنجزات التي تَّمت على صعيد اللُّغات الأخرى ما لتزاوجها مع الحاسوب من قدرة فريدة على إكساب هذه اللُّغة مزيد ارتقاء، وكفاءة، وحيويَّة، ومرونة، وخصوبة، ومنطقيَّة، وصمود للزَّمن، وقياسًا على ذلك أيضًا – لنا أن نتصور ما يمكن أن يؤديِّه الحاسوب في تعويض تخلفنا اللُّغوي: تنظيرًا، وتقعيدًا، واستخدامًا.

وانطلاقًا من هذه الإشارة وتلك الرُّؤية نستطيع ردَّ كثير من الآراء المسبقة حول طبيعة اللُّغة العربيَّة والادِّعاء بعدم قابلتها للمعالجة الآليَّة باستخدام الحاسوب، بالإضافة إلى ما ظلَّت تتعرَّض إليه من هجوم يمسُّ كيانها وحضارتها وتراثها، وهنا يبرز التَّحدي الأكبر؛ إذ «إنَّ إثبات زيف وتضليل هذه الادِّعاءات على المستويين اللُّغوي والتَّقني، ليس فقط ضربًا من ضورب الحميَّة القوميَّة اللُّغويَّة، ولكنَّه عامل مهم لتخليص أخصائي

الحاسوب ومستخدميه من أسر هذا المفهوم الخاطئ الـذي يحدُّ طموحهم، ويضع قيودًا مصطنعة على أداء البشر وما يبدعونه من نظم آليَّة»، وهذا التَّحدِّي في بدايته كان عليه أن يُبدِّد من خلال التَّطبيق والممارسة العلميَّة كل «المفاهيم الخاطئة عن العلاقة بين اللُّغة العربيَّة والحاسوب، وإبراز خصائص هذه اللُّغة التي تؤهلها كموضوع مثير للمعالجة الآليَّة»، وقد تمَّ في هذا الصَّدد الاستفادة من التَّجارب الأجنبيَّة فيما يخصُّ المعالجة الآليَّة للُّغات الطبيعيَّة، وتعميق البحث في حقل الدِّراسات اللِّسانيَّة الحاسوبيَّة في ضوء علاقتها بالظَّواهر اللُّغويَّة والتَّقنيَّة.

العربيَّة والمعالجة الآليَّة:

لقد تمكَّنت شركة صخر – وهي إحدى الشبكات العربية العملاقة– منذ وضع برامجها في خانة التَّطور التي تعرفه الصِّناعة الإليكترونيَّة دوليًّا وعلى قواعد وكفاءات علميَّة، وذلك لجعل اللُّغة العربيَّة في مصافِّ اللُّغات العالميَّة، واستطاعت أن تحقِّق خلال عقدين من الزَّمن طفرة هائلة، وفجَّرت طاقات الإبداع، والخلق، والإنجازات في مجال تطوير أعمال وبرامج هي الآن تشكِّل خزانة هامَّة في المدارس، والمؤسَّسات، والمعاهد، والإدارات.

شرعت شركة صخر منذ بداية الثَّمانينات من الألفيَّة الثَّانية

في تحضير قاعدة مشروع معلوماتي على صعيد العالم العربي، وكانت تملك تصورًا يحكمه الوعي بمدى السُّرعة الهائلة التي يعرفها قطاع الإعلام والتَّواصل في مجال التِّقنية الإلكترونيَّة وما تمَّ تحقيقه من منجزات أوروبيَّة وأمريكيَّة في هذا الميدان في ضوء التَّجارب الأولى التي أنجزت، وما أصبحت تتوفَّر عليه من بنوك المعطيات وحواسيب ضخمة؛ لتخزين المعلومات والمفردات بكميَّات هائلة جدًّا.

وقد أنجزت هذه المراحل:

المرحلة الأولى: عملية انتقاء (جمع المادة المعجمية) المدونة المعجمية:

وفائدة هذا الانتقاء في الوعاء اللُّغوي الحاسوبي، هو:

١- تزويد مستخدمي اللُّغة بزاد معجمي ثري، وبألفاظ عدَّة في المعنى الواحد، فتمنح له فرصة الاختيار والانتقاء بما يتناسب والمقام، فربما يكون قد نسي، أو أنَّ ما ذكره لا يفي بالمعنى المطلوب؛ إذ لكلٍّ كلمة إيماءات خاصة بها تناسب سياقًا دون آخر. أمَّا إذا توافرت له فرصة اختيار مرادف أوضح من حيث المعنى، فإنَّ التعبير يأتي دقيقًا واضحًا.

٢- إثارة المتعة، وقتل الملل لدى القارئ بتنوع الألفاظ التي يستخدمها الكاتب؛ ذلك أن تنوع مادَّة الوعاء تمنح الكاتب

الفرصة لانتقاء كلماته بعيدًا عن الكلمات الغامضة دلاليًّا؛ ومن ثمَّ يتطلَّب هذه الإجراءات:

١- إجراء تحليل لُغوي - صرفيًّا، ونحويًّا، ودلاليًّا - لنصوص الوعاء اللُّغوي الحاسوبي بما فيها بنية الكلمة وعمليَّة الاشتقاق والتَّركيب والمزج داخل منظومة الصَّرف وأنماطها والضَّبط الإعرابي، أي: تهيئ الوعاء لحل المشاكل المرتبطة بمعالجة الصَّرف العربي آليًّا؛ إذ أي تقدم في مجال إدخال اللُّغة العربيَّة إلى عالم الحاسوبيَّة والمعلوماتيَّة مرهون بحل كل القضايا الصَّرفيَّة، والإحاطة بمواضيعه من حيث تصريف الأفعال والاشتقاق والتَّوليد، والتَّغلب على ما هو من طبيعة اللُّغة، أي: الإعلال والإبدال، هذا بالإضافة إلى ما يطرحه موضوع الشَّكل في اللُّغة العربيَّة صرفيًّا، ونحويًّا، ومعجميًّا، بجانب تعدُّد بنية الكلمة وإعرابها وتركيبها من حيث اللَّواحق والزَّوائد.

مع مراعاة تصنيف الكلمات غير المحللة صرفيًّا؛ الأمر الذي يساعد على:

أ- تصويب الأخطاء الإملائيَّة وأخطاء الإدخال.

ب- إقامة المسافات بين علامات التَّرقيم أو الأرقام، وبين الكلمات النِّهائية.

ج- تعديل زمن استخدام الكلمات القديمة بما أنها مستخدمة في

بعض الكتابات الحديثة.

د- إضافة الكلمات العربيَّة المستحدثة إلى قاعدة البيانات المعجميَّة.

هـ- إضافة الكلمات والأعلام الأجنبيَّة إلى قاعدة البيانات المعجميَّة.

و- وضع رموز خاصة بالكلمات العاميَّة والأخطاء الشَّائعة، حتى يمكن البحث عنها.

ز- ترميز النُّصوص لتحديد الكلمات الفريدة.

ح- تجهيز بيانات فك اللَّبس الصَّرفي والنَّحوي والدَّلالي.

٣- مراعاة الجانب الإحصائي عند تجميع النُّصوص بحيث تكون طريقة الجمع تمكِّننا من تحليل إحصاء الكلمات، والأساليب الواردة فيها، وحصر معانيها المختلفة حسب نسبة ورودها.

وإذا اتُّفق على ورود الكلمات بالمعنى نفسه في أغلب السِّياقات المطلوبة أخذ به، وإذا ندر اعتبر من الحالات الشَّاذة، وتُسمَّى هذه العمليَّة بالانتقاء - كما ذكرنا في المرحلة الأولى - حيث يتم انتقاء الألفاظ الواضحة المعنى والأصيلة، والألفاظ السَّهلة؛ لكي تواكب لغة المعجم مسيرة الحياة الحضاريَّة المعاصرة، ويستبعد الغريب؛ ومن ثمَّ يُتيح لنا:

١- عرض نتائج البحث بطرق مرنة على مستوى: الكلمة، أو الجذر، أو الميزان الصَّرفي، أو قسم الكلم، أو التَّركيب، أو المعنى.

٢- استخراج إحصائيَّات أساس مثل:

أ- النُّظم الإحصائيَّة لقياس التَّردد ومعرفة الكلمات الشَّائعة في الاستعمال اللُّغوي.

ب- نظم إحصائيات السِّياق الموجَّه للكلمة Word Collocation

ج- النُّظم الإحصائيَّة لبناء نموذج لغوي Statistics N-gram

لذا يُعد الإحصاء اللُّغوي من المجالات الحيويَّة التي يقدِّمها الوعاء اللُّغوي الحاسوبي، ويجعل الباحث يملك تصورًا لطبيعة اللُّغة؛ إذ بجانب قدرته على التَّحليل الكمِّي، وإفراد النَّتائج المطلوب تحصيلها؛ فإنَّه بإمكانه أن يعطينا كميَّة الحروف التي يخزنها، وعدد الكلمات والموازين الصَّرفيَّة، والتَّراكيب النَّحويَّة، ونسب الأفعال الصَّحيحة، والمعتلَّة، والإفراد، والتَّثنية، والجمع، وعدد الحركات القصيرة والطَّويلة وأساليب التَّعدية، ومعاني الكلمات وصيغ المجاز وسياق الألفاظ، وهناك جانب إحصائي آخر في مجال الكتابة العربيَّة له أهميَّة بالغة في تصميم نظم المعالجة الآليَّة للُّغة العربيَّة، ولقد أوجزه الدكتور (نبيل علي) في محورين:

أ- إحصائيَّات عن التَّوزيع النِّسبي لاستخدام الحــروف العربيَّــة المفردة (بغض النَّظر عن أشكالها) وأزواجهــا وثلاثياتهــا، وكذلك معدَّلات احتمال وقوع كلِّ حــرف فــي المواضــع المختلفة من الكلمة.

ب- إحصائيَّات عن التَّوزيع النِّسبي لعلامات التَّشكيل في النَّصِّ القرآني الكريم؛ وذلك لتقدير علاقات التَّرابط بين الحــروف وعلامات التَّشكيل على أساس كمِّي[1].

نحن بحاجة لمثل هذه الأعمال؛ لمواكبة الانفجار العلمي في عصر القرية الكونيَّة الواحدة، نقف بهذه الأعمال أما التَّحــدِّيَّات التي تخنق العربيَّة وتقوِّض دعائمها.

وهناك أعمال فريدة في بابها تتعلَّق بهذا التَّحدِّي العمــلاق للعربيَّة وهي أعمال الدكتور محمد زكي محمد خضر[2] حفظــه الله ورعاه.

---

(١) علي، د. نبيل: **اللغة العربيَّة والحاسـوب**، ط٢، دار المعرفــة، الكويــت، ٢٠٠٠م، ص ٣٢.

(٢) مثل: **الحروف العربية والحاسوب**: المحاضرة السادسة، الموســم الثقــافي الرابع عشر، ٢٢ حزيران ١٩٩٦. ومثل: **التعامل مع القرآن الكــريم فــي عصر المعلوماتية**: مؤتمر كلية الآداب الخامس – جامعة الزرقاء الأهلية – حضارة الأمة وتحدي المعلوماتية، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

(٣) العربية واللغات الأجنبية:

اللُّغة أبرز جوانب الثَّقافة، وأوضح معالمها فهي من مقوِّمات الشَّخصيَّة بما تحمله من معانٍ وخصوصيَّات ودلالات، حيث إنَّها أداة تفكير، وتواصُل، وذاكرة حيَّة، وضرورة للمعرفة والأصالة، والتَّقاليد والأعراف.

كما أنَّ اللُّغة والدِّين عنصران مركزيَّان لأيٍّ ثقافة أو حضارة؛ من هذا المنطلق فإنَّنا نجد أنَّ أيَّ تحدٍّ لثقافة ما لابد أن ينطوي على تحدٍّ للغتها.

وهذا ما نسمِّيه بـ"الصِّدام الحضاري" الذي يستتبع حوارًا لغويًّا في شكل: احتكاك لغوي بين اللُّغة الأصل والثَّقافة الوافدة في صراع العولمة؛ ومن ثمَّ ينبغي علينا فض الاشتباك بين الجانبين؛ لأنَّ العولمة في بنيتها، وآليتها ظاهرة تاريخيَّة معقَّدة، وهي بنية من التَّحدِّيَّات التي تواجه المجتمعات الإنسانيَّة، وهي منظومة حضاريَّة تفيلق المجتمعات في أطر استهلاكيَّة على شكل ثقافات ذوقيَّة متعدِّدة، منصهرة في بوتقة ثقافة وطنيَّة واحدة تجعل العالم كلَّه قرية كونيَّة، حيث تتوارى الحدود والحواجز الجمركيَّة، والثَّقافيَّة، والمذهبيَّة بين مكونات الوجود الإنساني.

والهيمنة الثَّقافيَّة – واللُّغة أبرز معالمها – تُعد نتاجًا مقصودًا، أو غير مقصود لظاهرة العولمة بأذرعها الطُّولى –

الشَّركات والتَّعليم والإعلام – وما يصاحبها من أنماط السُّلوك والممارسات، يمثِّل: اختراقًا سافرًا لخصوصيَّات الشُّعوب وثقافتها؛ ممَّا يؤثِّر سلبًا لا محالة على هويَّة الأمَّة.

وإذا كان الشَّأن الثَّقافي لأيِّ أمَّة يحدِّد أبرز ملامح هويَّتها الذي يعكس عقيدتها، وتراثها الحضاري؛ فإنَّ اللُّغة هي لسان حال هذه الهويَّة وهي بؤرة الجانب الثَّقافي، فمنذ عصر الفتوحات الإسلاميَّة واجهت العربيَّة تحدِّيَّات عظمى؛ بفعل احتكاكها بلغات الأمصار المفتوحة، فظهر الدَّخيل والمولَّد من الألفاظ؛ فهرع علماؤها إلى جمع اللُّغة من أفواه العرب العرباء الخلَّص؛ تفاديًا للحن والخطأ.

أمَّا في عصر القرية الكونيَّة الواحدة هذه فإنَّ اللُّغة العربيَّة تواجه احتكاكًا شرسًا من الثَّقافات الوافدة، وخاصَّة اللُّغات المسمَّاة بالعالميَّة – اللُّغة الإنجليزيَّة – لغة المصالح الماديَّة والتَّبشير بها بأنَّها لغة البشر والحضارة والثَّقافة.

وليست الإنجليزيَّة لغة الحضارة والعالمَّة – كما يزعُمون – وهذا ما توصَّل إليه صامويل هنتجون في كتابه "صدام الحضارات" الذي أثبت فيه أنَّ القول بهذا الادِّعاء ما هو إلا وهم كبير، بل إنَّ المعلومات التي توفَّرت لديه تظهر العكس فقد كان عدد الذين يتحدَّثون الإنجليزيَّة في العالم بوصفها لغة أولى لهم

سنة ١٩٩٢م لا يزيد عن ٧,٦% من بين المتحدِّثين بلغات يزيد من يتكلَّم بها عن مليون نسمة، بل إنَّه يبين أن نسبة المتحدِّثين بالإنجليزيَّة قد تدنى سنة ١٩٩٢م عنه في سنة ١٩٥٨م التي يوازي فيها المتحدثون باللُّغة الإنجليزيَّة نسبة ٩,٨% ويخلُص إلى نتيجة وهي «أنَّ لغة تُعد أجنبيَّة لدى ٩٢% من سكان الأرض لا يمكن أن تكون لغة عالميَّة»[١].

ولم يقف الغرب مكتوفي الأيدي أمام انتشار الإنجليزيَّة، ففي فرنسا صدر قانون عام (١٩٩٤م) يقضي باعتماد اللُّغة الفرنسيَّة في الإعلانات، وقد حظر وزير الماليَّة الفرنسي في وزارته استخدام أية كلمة مشتقة من الإنجليزيَّة، حيث استبدل كلمة (e-mail) بـ(Couriev electronique)، ولم يكن وزير الثَّقافة الفرنسي أقلّ حماسًا حين هاجم العولمة مدافعًا عن لغته في مؤتمر المكسيك قائلاً: «إنَّها شكل من أشكال الإمبرياليَّة الماليَّة والفكريَّة، ولا تحتل الأرض ولكن تصادر الضَّمير ومناهج، والتَّذكير، وأنماط العيش المختلفة»[٢].

أمَّا إسبانيا فتجد نفسها في مأمن، حيث يقول (Ross): لا

(1) S. Hantington, "Clash of Civilizations" London: Touchstone Books, 1996, p.27.

(٢) أبو طالب، عبد الهادي: مؤتمر العلاقات الأمريكية العربيَّة وتحديات العولمة، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص ٣٧.

تجد لدينا في إسبانيا ضجّة متشابهة، فمع أنّ الأثر السّلبي للإنجليزيّة موضوع مألوف للأكاديميّين والمختصّين إلا أنّهم يجدون صعوبة في ضرب الأمثلة من المجتمع الأسباني، والسّبب أنّ الأسبان لا يعتقدون أن لغتهم مهددة من أيّ لغة أخرى، فهي لغة قادرة بأكملها، باستثناء البرازيل، والولايات المتّحدة، وأهميّتها في تزايد؛ لذلك ينظر لهذا الموضوع بوصفه حديثًا بين المختصّين لا همًّا شعبيًّا[1].

أمّا البرلمان الأوروبي فقد ناقش كلّ الإجراءات التي من شأنها وقف انتشار اللّغة الإنجليزيّة حيث أعرب البرلمانيّون الأوروبيّون عن قلقهم من سيطرة اللّغة الإنجليزيّة على الحياة الاقتصاديّة والعلوم والتكنولوجيا واللّغات من أجل المفاهيم والأفكار التي تجسدها.

ومن ثمّ فإنّ الوصف الحقيقي لها، هو: أنّها لغة الاتصال العالديّة بين مختلف الثّقافات والحضارات، وليست لغة لكل أفراد المجتمعات فإتقانها مطلوب لمن له اتّصال بشكل أو بآخر مع أي عنصر أجنبي حسب تخصصه.

وهذا التّحدي للعربيّة ناتج عن الشّعور المبالغ فيه تجاه

(١) أبو طالب، عبد الهادي: مرجع سابق، ص ٣٧.

اللُّغات الأجنبيَّة، وأنَّ أيَّ تقدُّم لن يأتي إلا عن طريق اللُّغة الأجنبيَّة للجميع، وهذا الشُّعور إنَّما تأتَّى من الإحساس بالهزيمة النَّفسيَّة، والإعجاب المتناهي بقوة المنتصر الغالب ثقافةً وسياسةً.

فنحن مطالبون بأن نحدِّد علاقتنا فيما يخصُّ الثَّوابت بما ينسجم ومصلحتنا العامَّة، لا بما ينسجم وغاياتنا الآنية، وأن ننظر في الأمور باعتبار ما ستؤول إليه، لا باعتبار ما تبدو عليه في اللَّحظة الرَّاهنة.

وانطلاقًا من هذه الغاية سنناقش عناصر لها ارتباط وثيق بما نحن فيه من عُلْقة وسبب، وهي:

الأول: اللُّغات الأجنبيَّة والتَّعليم:

إذا كان من معقول الأمر أن نلتصق بثقافتنا. ولغتنا والتَّحصُّن بهويَّتنا الإسلامية وتراثنا؛ فإنَّنا – ولا شكَّ – يجب أن نحدِّد موقفنا الثَّقافي في تجاه اللُّغة الأجنبيَّة.

وحديثي هذا لا يعني هدم اللُّغة الأجنبيَّة ثقافيًّا وعلميًّا، ولا يعني عدم أهميَّتها، أو فائدتها، كما لا يعني الدعوة إلى الاكتفاء بالعربيَّة دون النَّظر إلى ما عند الآخرين.

وهذه دعوة أستاذنا الدُّكتور عبده الرَّاجحي الذي دعا إلى التَّمسك بالتراث في يد وبالمعرفة الحديثة في اليد الأخرى دون

تفريط أو إفراط؛ «لأنَّ الاتِّصال بالتُّراث من ناحية أخرى، واجب علمي، وواجب قومي، لاينبغي أن يكون في ذلك خلاف»[1].

فنحن بحاجة إلى توظيف اللُّغة الأجنبيَّة بما يُناسب وحاجات المجتمع العربي، وإعطاء الحجم المناسب لها بوصفها لُغة أجنبيَّة لا يحق لها أن تُقصي العربيَّة عن مواقعها، ولا أن تجوز عليها في ألسنة أهلها أو منتدياتهم.

وما دام مستقبل العولمة آتٍ لا محالة فإنَّ من الواجب علينا، عربًا ومسلمين، أن نحاول – قدر الإمكان – التَّصدي لهذا الخطر، لا بالشِّعارات والكتابات الجوفاء، ولكن بالعمل الجاد المنظم الذي يكسبنا مناعة ضد أخطار العولمة وشرورها، ويجعلنا نشارك الآخرين في معطياتها ومنافعها.

وسنعطي مثالين لهذه العلاقة بين لغتنا الأصل واللُّغات الأجنبيَّة الوافدة في ضوء هويَّتنا وثقافتنا:

المثال الأول: الدَّعوة إلى تعليم اللُّغة الأجنبيَّة في التَّعليم العام:

هذه الدَّعوة من الجدل الدَّائر حول إدخال اللُّغات الأجنبيَّة في مناهج المرحلة الابتدائيَّة. والاتجاه السَّائد في الولايات

---

(١) الراجحي، د. عبده: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.، ص ٧.

المتحدة، وبريطانيا، هو حسم هذا الجدل، وإنهاؤه، حيث يذكر أحد الباحثين في هذا الشأن: أنَّ الاهتمام الأمريكي باللُّغات الأجنبيَّة في المرحلة الابتدائيَّة قد بدأ يتضاءل. وفي بريطانيا ينظرون إلى المشروع الضَّخم لتطوير التَّعليم الابتدائي الذي قام بتقويمه "برستال" Burstall وآخرون عام ١٩١٤م، على أنَّه دحض للفكرة القائلة: إنَّ البداية المبكرة لتعليم اللُّغات الأجنبيَّة ميزة كبرى(١).

ولقد كان من آثار التَّضخيم الإعلامي لأهميَّة اللُّغة الأجنبيَّة وسدٍّ باب العمل أمام المواطن العربي دون إجادة هذه اللُّغة أن ارتفعت الأصوات تنادي بتعليم اللُّغة الأجنبيَّة للأطفال منذ السن المبكرة، بل إن بعض المدارس أخذت تعلم بعض المواد العلمية للأطفال باللُّغة الأجنبيَّة، على أساس أن يتعرف الطالب عليها منذ الصغر؛ لتسهل عليه دراستها في المراحل المتقدمة.

وهذه الأصوات والممارسات تذكِّرنا بالأيام الأولى للاستعمار في البلاد العربيَّة مصر وسورية والمغرب العربي، حين أخذ الإنجليز بنجلزة التَّعليم؛ تمهيدًا لطمس الهويَّة العربيَّة لمصر، وقام الفرنسيُّون بفرنسة التَّعليم في بلاد الشام وفي بلاد

---

(1) Stern, H.W. (1984). Fundamental Concepts in Language Teaching. Oxford: Oxford University press, p. 105.

الشَّمال الإفريقي العربيَّة للسَّبب نفسه، وكان العذر الوحيد الظَّاهر هو جذب هذه البلدان إلى أحضان التَّقدم والرُّقي.

والفرق بين الحالين أنَّ الوضع في عصر العولمة يتمُّ بمبادرة تلقائية من العرب العاملين في مجال التَّربية والتَّعليم، دون النَّظر للآثار الخطيرة التي يسببها تعليم اللُّغة الأجنبيَّة للصِّغار على انتماءاتهم الوطنيَّة، فيكرس في نفوسهم الغضة التَّبعيَّة للأجنبي والاستخفاف بكل ما هو عربي، وازدراء التُّراث العربي والتَّعلق بأنماط الثَّقافة الأجنبيَّة الوافدة، وفي ذلك كلُّه تعميق للهزيمة النَّفسيَّة وتعويق عن النُّهوض. هذا إلى جانب أنَّ كثيرًا من المدارس الخاصَّة التي انتهجت هذا النَّهج قد كونت نوعًا من الطَّبقيَّة في المجتمع الواحد أدَّت إلى شروخ ثقافيَّة في المجتمع وأسهمت في تفتيت وحدته.

وقد أعطى الدكتور الضُّبيب مثالاً على نشوء هذه الطَّبقيَّة بالمدارس الخاصَّة في لبنان فقد فاضت هذه التَّجربة منذ وقت مبكر حيث قامت بتدريس اللُّغات الأجنبيَّة للأطفال أولاً ثم بتدريس المواد العلميَّة لهم منذ المدارس الابتدائيَّة والمتوسطة باللُّغتين الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة حسب انتماء المدرسة إلى أيٍّ من الثَّقافتين مع تدريس بعض المواد باللُّغة العربيَّة عن مكانها الطَّبيعي والطَّليعي في التَّعليم؛ لتحلَّ محلَّها اللُّغات الوافدة، التي

كوَّنت طبقة جديدة بين أفراد المجتمع تعتمد على الثَّقافة الأجنبيَّة المكتسبة، واستتبع ذلك ظهور شعور بـالنَّقص لـدى خريجـي المدارس العربيَّة وذويهم، ولم يلبث التَّعليم الرَّسمي أنَّ فتح الباب على مصراعيه للمدارس الرَّسميَّة بالقرار رقم ٥٥٨٩ الـصَّادر عام ١٩٩٤م كي تدرس المواد العلميَّة بالمدارس الابتدائيَّة بإحدى هاتين اللُّغتين اللَّتين أخذتا تتصارعان على أرض الواقع؛ لتنـتج بسببهما انتماءات ثقافيَّة متعدِّدة قد نصيب الوحدة الوطنيَّـة فـي الصَّميم.

وإذا كان هذا القرار قد ساوى بين المدارس في البلاد فـإنَّ تلك المساواة لم تكن في الواقع في صالح التَّحصيل الدِّراسي بل لابد أن تكون قد أسهمت بشكل ملموس في ضعف الطُّلاب فـي المواد العلميَّة؛ لأنَّ تدريس هذه المواد باللُّغة الأم يعطي الطُّلاب ذخيرة أوفر، ويحقِّق جودة أعمق، ويخفِّف من كثـرة الرُّسـوب والتَّسرب[1].

ومن ثمَّ فإنَّ تعلُّم اللُّغة الأجنبيَّة ليس ضروريًّا لكلٍّ فرد في التَّعليم العام؛ لأنَّ التعليم العام ملزم بتقديم الضَّرورات، التـي لا يستغني عنها الفرد في حياته، أمَّا ما يتفاوت فيه النَّاس فإنَّ ذلـك متروك لكل شخص على حدة، فهو أقدر على إشـباع رغباتـه،

---

(١) الضبيب، د. أحمد محمد: مرجع سابق، ص ٢٣.

واحتياجاته الثّقافيَّة بالطَّريقة التي يختارها، من غير فرض أو إجبار. والطِّفل لا يملك هذه القدرة(١).

يقول الدكتور أحمد الضبيب: «فإذا كانت هذه النَّتيجة منطقية فإن من الشَّطط الكبير أن نفرض على أبنائنا تعلم اللُّغة الإنجليزيَّة منذ نعومة أظافرهم، وأن نتمادى بتدريسهم المواد العلميَّة بالإنجليزيَّة، فنضيف إلى المجهود الذي يبذلونه في فهم المواد مجهودًا آخر يتمثَّل في فكِّ رموز اللُّغة الأجنبيَّة، وحفظ مفرداتها والإلمام بقواعدها. ونُشَتِّت أذهان هؤلاء الصِّغار بين لغتين، ممَّا سوف ينتج عنه آثار سلبيَّة على هؤلاء الأطفال، تتمثل في الازدواجيَّة اللُّغويَّة، التي تجعل اللُّغة الأجنبيَّة مساوية للغتهم الأم، الأمر الذي يضعف لديهم الانتماء الوطني، والارتباط بالثَّقافة العربيَّة.

فإذا أضفنا إلى ذلك البريق الذي يرافق اللُّغة الإنجليزيَّة بما أُتيح لها من مناهج حديثة، وكتب جذَّابة، وطرق تدريس متطوِّرة، وما تحاط به من فنون الإعجاب والانبهار الغوغائي، وجدنا أنَّ المردود النَّفسي لدى صغارنا حول اللُّغة العربيَّة سوف يكون في غير صالح هذه اللُّغة التي تمرُّ بوضع بائس في التَّعليم. وكأنَّنا

---

(١) وهذا مشروع بحث لي أوشكت على إنهائه بعنوان: "اللُّغة العربيَّة واللُّغات الأجنبيَّة في مناهج المرحلة الابتدائية.

بذلك نؤسِّس – إن لم نكن نكرس – النَّظرة الدُّونيَّة التي تنتشر في بعض الأوساط إلى اللُّغة العربيَّة.

ناهيك عن الأموال الطَّائلة – شبه المهدرة – التي سوف تتكبَّدها مؤسسات التَّعليم العام في الإعداد لهذه الدروس الإنجليزيَّة – وشراء كتبها الأجنبيَّة الباهظة الثَّمن، واستيراد معاملها المكلِّفة، واستقدام المعلمين الأجانب الذين يديرون عجلة هذا التَّعليم.

ولعلنا نتساءل في هذا المجال، إذا كان تعلم اللُّغة الإنجليزيَّة في الصُّفوف الابتدائية مطلبًا حضاريًّا، فأيُّ الدُّول المتقدِّمة الكبرى مثل: فرنسا، وألمانيا، والصين، وروسيا أخذت بذلك. ولماذا حُرمت هذه الدُّول من خيرات اللُّغة الإنجليزيَّة وتركتها لتنعم بها بعض الشُّعوب النَّامية؟. وما الذي أفادته هذه الشُّعوب النَّامية من ذلك التَّعليم وقد مضى على بعضها أكثر من مائة سنة، تُدرَّس فيها العلوم منذ الصُّفوف الابتدائيَّة باللُّغة الأجنبيَّة فرنسيَّة أو إنجليزيَّة.

إنَّ الأجدر بالطِّفل الصَّغير أن تُخصَّص سنواته الدِّراسيَّة الأولى لإجادته لغته العربيَّة، والارتباط بثقافته، وتنمية المحبة لها من خلال الولاء لوطنه، وتراثه وأمَّته. وأن يستغل كامل وقته من أجل أن يلم بالمهارات الأساسيَّة، ومنها النُّطق بلسان عربي

فصيح، والتَّعبير بفكر متناسق واضــح. لا أن يــتلجلج لــسانه بالرَّطانات، ويشوِّش دماغه بالانتماء لعدة لغات»[1].

كما أنَّ تدريس العلوم والرياضيَّات بلغة أجنبيَّة له صورتان سلبيَّتان:

الأولى: التَّأثير على النَّاطقين باللُّغة الأجنبيَّة وغير النَّاطقين بها على السَّواء، وهو يتناول الاستعمال اليومي واللُّغوي لكلمــة ما.

الثَّانية: التَّأثير على غير النَّاطقين باللُّغة الأجنبيَّة من حيث إنَّه يتعلق بالخلفيَّة لهؤلاء الأشخاص؛ إذ إنَّهــم بالإضــافة إلــى إمكانية عدم معرفتهم الجيِّدة للُّغة الأجنبيَّة يحملون خلفيَّة ثَّقافيَّــة مختلفة عن الخلفيَّة الغربيَّة، وهي تؤثِّر على كيفيَّة حل المــشاكل العلميَّة.

ومن ثمَّ فإنَّ غير النَّاطقين باللُّغة الأجنبيَّة الــذين يتعلَّمــون العلوم بهذه اللُّغة يواجهون مشكلة ذات وجهين:

١- ضعف اللُّغة.

٢- اختلاف الثَّقافة.

بالإضافة إلى المزج بين اللُّغة اليوميَّة واللُّغة العلميَّــة مــع مــا

---

(١) الضبيب، د. أحمد محمد: مرجع سابق، ص ٤٢.

يستتبع ذلك من المشكلات في تعليم العلوم، ومن النَّظريَّات الخاطئة عند المعلمين افتراضهم أنَّ قدرة التَّلاميذ على التَّكلم بلغة ما كافية لاستيعاب مفاهيم علميَّة بواسطة هذه اللُّغة.

وإذا أضفنا البعد الاجتماعي للُّغة العلميَّة بعين الاعتبار لوصلنا إلى الاستنتاج بأنَّ للُّغة الأم أفضليَّة في تعليم العلوم(١).

وهناك دراسات وأبحاث ميدانيَّة أقيمت على طلاب أستراليين، وهنود، وماليزيين وكينيين، وقد أظهرت النتائج:

١- أنَّ فهم الطُّلاب للعلوم قد تأثَّر بشكل سلبي عند استخدام الإنجليزيَّة بشكل حصري بينما مكَّن استعمال اللُّغة الأم من جعل المادة العلميَّة ذات معنى من خلال ربطها بحياة الطلاب العاديَّة.

٢- أنَّ الطُّلاب الذين تعلموا بلغتهم قادرون على فهم التعابير العلميَّة بشكل أفضل من الطُّلاب الذين يستخدمون اللُّغة الإنجليزيَّة(٢).

وفي ثلاث دراسات أجريت على الطُّلاب الفلبينيِّين الذين

---

(١) صياح، فؤاد: **تعليم العلوم باللغة العربية، اتجاهات وحلول**، ط١، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٥١.

(٢) صياح، فؤاد: مرجع سابق، ص ١٥٢.

يستخدمون اللُّغة الفلبينيِّة في دراسة العلوم تبيَّن أنَّ هؤلاء الطُّلاب قادرون على فهم التَّعابير العلميَّة بشكل أفضل من الطُّلاب الذين يستخدمون اللُّغة الإنجليزيَّة[1].

ومن ثمَّ يؤكِّد الدكتور الضُّبيب أنَّ هذه الدِّراسات كلها تثبت بما لا يقبل الشك أو الجدل أنَّ استعمال اللُّغة الأمِّ وبخاصَّة في المراحل الأولى من التَّعليم أولى من استعمال اللُّغة الأجنبيَّة، لا من باب التَّعصُّب القومي أو الشُّعور العاطفي نحو الذَّات، وليس من باب رفع الشِّعارات، ولكن استنادًا إلى حقائق موضوعيَّة علميَّة تنير الطريق للمخططين الذين يريدون لبلادهم أن تمتلك العلم والتَّقنية في عصر هو عصر العلم والتَّقنية.

وإذا تركنا هذه الدراسات جانبًا ونظرنا في تجارب الدُّول المتقدِّمة التي يجدر بنا أن نفيد من تجاربها المفيدة وجدنا أنَّ هذه الدُّول جميعًا بلا استثناء لا تعلِّم اللُّغة الأجنبيَّة في المرحلة الأولى من التَّعليم كما أنَّها لا تعلم العلوم بتاتًا بلُّغة أجنبيَّة في أيِّ مرحلة من مراحل التَّعليم. فهل غفلت هذه الدُّول عن الفوائد الكبيرة التي انتبه إليها المخطِّطون التَّربويُّون العرب وحدهم؟ ما بالنا ندير ظهورنا لهذه الحقائق النَّاصعة؛ لنجري وراء سراب اسمه اللُّغة الأجنبيَّة، ولماذا لا يسعنا ما يسع شعوب الأرض التي خطت

(١) صياح، فؤاد: مرجع سابق، ص ١٥٢- ١٥٦.

خطوات حثيثة في سبيل التَّقدُّم باستخدام لغاتها القوميَّة في التَّعليم بكل مراحله؟ وإلى متى كتب علينا أن نظلَّ ضيوفًا ثقلاء على فتات موائد هذه الأمم المتقدِّمة، يمنحوننا متى شاءوا ويحرموننا متى شاءوا، وتأبى العولمة في هذه الحالة إلا أن تجعل منا أُجراء لمشروعاتها، أو مستهلكين لبضائعها، أو سماسرة لأسواقها؟!(١).

المثال الثاني: الدَّعوة إلى تعليم اللُّغة الأجنبيَّة في التعليم الجامعي:

لقد طغت اللُّغة الإنجليزيَّة على حياتنا، وهي في كلِّ يوم تحقِّق انتصارًا في مجال من مجالات الحياة، وموقعًا من مواقع المجتمع، وإذا احتلَّت موقعًا من هذه المواقع؛ أقصت عنه اللُّغة العربيَّة، وتكاد – بعد دخول عصر الحاسب الآلي، والإنترنت والفضائيَّات – أن تنتزع لغتنا من ألسنتنا، بل ومن ثقافتنا وهويَّتنا؛ لسوء تخطيطنا للاستفادة منها وتطويعها لأُطر ديننا.

وإذا نظرنا إلى الشَّأن اللُّغوي، فإنَّنا نجد الجامعات العربيَّة – للأسف – قد أخفقت إخفاقًا ذريعًا في هذا المجال، حيث إنَّ جامعات الدُّول العربيَّة – عدا القليل – ما زالت محجمة عن تدريس الطِّب ومعظم العلوم الحديثة باللُّغة العربيَّة؛ بل إنَّ من

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٢٧.

المؤسف أنَّ بعض الجامعات وكليَّات التَّعليم العالي، أخذت مؤخرًا، تدرِّس بعض العلوم الإنسانيَّة، والاجتماعيَّة باللُّغة الأجنبيَّة.

ويأخذ المثقَّفون في هذا الموضوع اتجاهين:

الاتجاه الأول: الموافق للتعريب:

ذلك الاتجاه الذي يرى أنَّ للتَّعريب أهميَّة كبرى في نقل المعرفة العلميَّة إلى الطُّلاب بلغتهم الأمِّ؛ كي يسهل استيعابهم لها، ويمكِّنهم في المستقبل من الإبداع فيها؛ إذ إنَّ اللُّغة هي أداة التَّواصل والتَّفكير، وعن طريقها يكتسب الإنسان معارف، وقيمًا، وبها يتواصل مع الآخرين، ويحلُّ مشكلاته، ويكسب اتجاهات مرغوبًا فيها.

واللُّغة العربيَّة – وهي قادرة على نقل العلوم وفنون التَّقنية الحديثة – أقرب إلى عقول طلابنا ومداركهم من اللُّغة الأجنبيَّة عنهم مهما كانت درجة إتقانهم لها.

واستدل أصحاب هذا الاتجاه بنوعين من التَّجارب:

١- التَّجارب العالميَّة المعاصرة:

فيذكرون أنَّ الأمم المعاصرة النَّاهضة تدرس هذه العلوم بلغتها الأم، ابتداءً من مختلف دول أوربا التي هي أقرب إلى

الإنجليزيَّة حضارةً ولغةً، ومرورًا بدول آسيا النَّاهضة، وانتهاءً بدولة الكيان الصُّهيوني، التي أحيت لغة مندثرة، لا تاريخ لها ولا حضارة، فجعلت منها لغة العلم والأدب والحياة[1].

٢- التجارب القوميَّة المعاصرة:

وهناك دراسات عمليَّة قام بها أساتذة في الحقل التَّعليمي قد مارسوا التَّدريس في كلية الطِّب باللُّغة الإنجليزيَّة أولاً ثمَّ بالعربيَّة، أسفرت هذه الدِّراسات عن أنَّ التَّدريس باللُّغة العربيَّة أعطى نتائج باهرة فيما يخصُّ سرعة القراءة والفهم والاستيعاب.

من هذه الدِّراسات العمليَّة: دراسة أجراها الدُّكتور زهير السِّباعي، ونشر نتائجها في كتابه "تجربتي في تعليم الطِّب باللُّغة العربيَّة"، حيث دلَّت دراسته على أنَّ قدرة الطَّالب على القراءة قد زادت بقدر ملحوظ وكذلك قدرته على الاستيعاب والفهم والإدراك.

وفي دراسة استطلاعية ذكرها الدُّكتور زهير السِّباعي في كتابه الآنف الذِّكر أجريت في كلية الطِّب بجامعة الملك فيصل: «أجاب أكثر طلبة كلية الطِّب الذين شاركوا في الدِّراسة بأنَّهم سوف يوفِّرون ٥٠% أو أكثر من وقتهم لو أنَّهم قرأوا أو كتبوا

(١) السباعي، د. زهير: **تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية**، ط١، ص ٣٧.

باللُّغة العربيَّة»[1].

إنَّ تعريب العلوم ليس دربًا من الخيال، ولا طموحًا يُرضي اتِّجاهًا وطنيًّا، بل ضرورة قوميَّة، ووجهة شرعيَّة؛ للحفاظ على ثقافتنا وهويتنا. فإذا كنَّا نطمح إلى الخروج من حالة الرُّكود العلمي، والتَّخلُّف الحضاري؛ فلابد علينا أن نتَّخذ السُّبل النَّاجعة الموصِّلة لهذا الهدف، وتلك القيم.

ونحن – العرب – لسنا بدعًا بين الأمم فهذه أمم العالم المتقدِّمة والنَّاهضة، شرقًا وغربًا، تنقل العلوم إلى لغاتها وتُدَرِّس أبناءها بلغتهم الأم، فيقطعون أشواطًا في مضمار التَّقدم، ويحقِّقون نجاحاتٍ في هذه المجالات، بينما تقف الأمة العربيَّة بكل ما لها من مجد حضاري في مؤخِّرة الرَّكب.

الاتجاه الثاني: الرافض للتعريب:

هذا الاتجاه يرفض التَّعريب بكلِّ صوره؛ نظرًا لتدفُّق المعلومات الهائل في هذا العصر، والخشية من صعوبة اللِّحاق بالرَّكب العالمي إن نحن اقتصرنا على التَّعريب وهم، في تخوُّفهم، لا يغفلون النَّظر إلى حالة الوهن العربي، التي كان من نتائجها ضعف التَّنسيق بين المؤسَّسات العلميَّة في هذا المجال.

(١) السباعي، د. زهير: مرجع سابق.

ويشيرون – بصفة خاصَّة – إلى قضية المصطلحات العلميَّة، وصعوبة صياغتها، وفوضى استعمالاتها في أرجاء الوطن العربي.

ويرفض هذا الاتِّجاه للتَّعريب – كذلك –؛ لأنَّهم يخشون من انقطاع الباحثين، والأطباء عن مصادر المعرفة الخاصَّة بعلوم الطِّب، ويرون أنَّ في اعتمادهم على العربيَّة؛ ابتعادًا بهم عن المصادر الأجنبيَّة المباشرة، وسببًا لغيابهم عن الجديد في ميادين الطِّب والعلوم.

ومنهم من يظنُّ أنَّ في دراسة الطِّب والعلوم باللُّغة العربيَّة هبوطًا بالمستوى، وضعفًا في ممارسة مهنة الطِّب، وما يتعلَّق بها من تحليلات كيميائيَّة. فالاختيار الوحيد عندهم للنَّهضة هو: استعمال الإنجليزيَّة والإقدام على العربيَّة في هذه المجالات ضرب من الهوس القومي.

أقول: إنَّ هذه الحجج أوهى من بيت العنكبوت، ولا تثبت أمام النَّظر الدَّقيق في ضوء مصلحة أمَّة، والنَّظرة البعيدة لمستقبل عربيَّتنا وهويَّتنا.

وهذا لا يعني أن نغلق الأبواب أمام التَّقنية الحديثة والوسائل العلميَّة المتدفقة، والتَّطور الهائل في مجال العلوم والطِّب، ولا نعني – كذلك – بالانقطاع عن تعلم اللُّغة الإنجليزيَّة

وإنما نعني تربية جيل يفكر بالعربيَّة، ويبدع مـن خـلال ذاتـه العربيَّة، فتتوطَّن لديه العلوم والتَّقنية بوصفها منتجًا عربيًّا لا منتجًا أجنبيًا، ويتفاعل معها ذاتيًّا بلا وسيط. ولا شكَّ أنَّ الوصول إلى هذه المرحلة يتطلَّب وقتًا وجهدًا ولكن أوَّل خطوة في هذا المجال هي تعريب التَّعليم الجامعي وذلك عن طريق: نقل المعلومات إلى الطُّلاب باللُّغة العربيَّة في قاعة الدَّرس، وإعداد الكتب الدِّراسيَّة الأساسيَّة لهم باللُّغة العربيَّة، ومطالبتهم بكتابة بحوثهم وأوراقهم الفصليَّة باللُّغة العربيَّة، وإجراء امتحاناتهم بهذه اللُّغة. وذلك كلُّه ممكن التَّنفيذ إذا صدقت النِّيات، وحسنت المتابعة.

المصطلحات العلمية والتعريب:

تُعَدُّ قضيَّة المصطلحات والصُّعوبات التي يمكن أن تواجه التَّعريب من خلالها، لا تستحقُّ هذه الموجة من الاعتراض؛ لأنَّه من السَّهل أن يصوغ المصطلح المناسب لموضوعه مهتديًا بالقواعد والأسس التي وضعتها مجامع اللُّغة العربيَّة، والمؤسسات العلميَّة المهتَّمة المختلفة والأفراد العلميِّين المهتمين بشؤون التَّعريب، والمصطلح وصناعة المعجمات.

ومن ثمَّ فإنَّنا نرى من العلماء من يرى استخدام المصطلح العلمي الأجنبيَّ كما هو؛ اختصارًا للوقت من أجل الإسراع في

حركة التَّرجمة والتَّعريب. وهو موقف لا غبار عليه إن كان ذلك يمثِّل مرحلة من المراحل، تعقبها مرحلة تالية هي مرحلة التنقيح وإحلال مصطلحات عربيَّة أصيلة مكان المصطلح الأجنبي. وهذا الوضع يشبه ما قام به أسلافنا القدماء في بداية عهدهم بالتَّرجمة، حتى إذا امتلكوا العلم بادروا إلى وضع مصطلحاتهم الخاصَّة.

ومن العلماء من يرى البدء بصياغة المصطلح العلمي العربي تأصيلاً أو ترجمة وهو – بلا شك – وضع مثالي لولا ما يأخذه من وقت وجهد. ومع ذلك فإنَّ المصطلح العلمي لا يؤثر تأثيرًا بالغًا على مجرى اللُّغة؛ إذ هو يسير بين طائفة محدودة من العلماء مهما كان عددهم، ويمكن التَّحكم في مساره عن طريق اتِّفاق العلماء في كلِّ مجال من مجالات العلوم.

ولقد كانت هناك جهود كبيرة لتعريب العلوم، ولعلَّ من المحاولات الأولى الجادَّة حول تناول اللُّغة العلميَّة تلك السِّلسلة من المقالات التي كتبها الطَّبيب محمد جميل الخاني في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، بدءًا من المجلد الرَّابع والتي يرى فيها ضرورة وجود هذه اللُّغة العلميَّة التي تتَّسم بالسَّلامة والدِّقة[1].

لقد قسَّم الخاني ملاحظاته إلى قسمين: قسم دعاه (تثقيف

(١) الخاني، محمد جميل: **حول قرارات التعريب**، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج٤ ص ٣١٥.

الألفاظ)، وقسم آخر دعاه (تلئيم المصطلحات)، ثمَّ عاد في حلقات لاحقة وسماه (ملاءمة الألفاظ).

في **القسم الأول** يعالج الكاتب الكلمات العربيَّة الاصطلاحيَّة التي تحرَّفت عند العلماء وعامَّة النَّاس، وهي ليست من شأننا في هذا البحث.

وفي **القسم الثَّاني** يرفض الخاني كثيرًا من المصطلحات الشَّائعة المنقولة إلى العربيَّة في عصره، والتي قامت أساسًا على التَّرجمة الحرفيَّة من اللُّغات الأجنبيَّة ويستبدل بها ألفاظًا عربيَّة مثل قولهم: "أوعية دمويَّة"؛ إذ يسمِّيها: "عروق الدَّم"، و"الأوعيَّة اللِّمفاويَّة" وهي عنده "عروق البلغم"، وتسمية الفقرة الأولى مما يلي الرَّأس بالأطلس، وهي كلمة معربة من كلمة أحد الملوك في قصص أديان الوثنيين، وقد سمَّاها بعض المؤلفين بـ"الحاملة" ولا داعي – في نظره – للتَّعريب أو التَّوليد؛ لأنَّ العرب قد سمَّت هذه الفقرة باسم فصيح هو "الفهقة" كما عند ثابت، أو "الواهنة" كما عند ابن دريد.

الذي يعنينا من محاولة الخاني ذلك الاعتقاد الذي كان يساوره من «أنَّ كلَّ معنى يجول في الذِّهن لابد أن يكون له لفظ في اللُّغة العربيَّة ولو كان كامنًا في أغوار معاجمها».

هذه النَّظريَّة الحتميَّة لوجود مقابل فصيح للمصطلح الأجنبي

هي التي جعلته يأخذ نفسه كما يقول: «بأن لا يجتاز عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربيَّة ولو تكبَّد في ذلك أعظم المشقَّات»[1].

وهناك جهود أخرى في مجمع اللُّغة العربيَّة في مصر حيث برز الدكتور محمد كامل حسين (ت ١٩٧٧م)، وهو طبيب وأديب، وله مشاركات في وضع المصطلحات العلميَّة، فقد بسط الموضوعَ في أكثر من مناسبة، لعلَّ أبرزها بحثه المنشور سنة ١٩٥٩م[2].

وقد برزت – أيضًا – جهود الشَّيخ محمد بهجت البيطار[3]، والدُّكتور إبراهيم مدكور[4]، وصولاً إلى الدُّكتور ضيف[5].

وفي الأردن أسهم مجمع اللُّغة العربيَّة عمليًّا في ترجمة

---

(١) الخاني، محمد جميل: مرجع سابق، ج ١٢ ص ١٩٣.

(٢) حسين، محمد كامل: **القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١١ ص ٢٠١.

(٣) البيطار، محمد بهجت: **بين الاشتقاق والتعريب**، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦١م، ص ٩٣.

(٤) مدكور، د. إبراهيم: **حول الاشتقاق والتعريب**، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦١م، ص ٩٦. وينظر له أيضًا: **في اللغة والأدب**، ط١، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٩٧.

(٥) ضيف، د. شوقي: **مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا**، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص ١٣٠.

الكتب العلميَّة الجامعيَّة، كما خرجت منه محاولة جريئة لكتابة الرُّموز العلميَّة باللُّغة العربيَّة[1]. وكذلك المجمع العلمي العراقي[2].

هذه إطلالة عَجْلَى على جهود علمائنا وباحثينا في تعريب المصطلحات، التي غُضَّ الطَّرفُ عنها في التَّعليم الجامعي الذي دام أكثر من ثمانين عامًا قضيت في تدريس الطِّب وعلومه باللُّغة الإنجليزيَّة، فهل يراد لنا أن ننتظر قرونًا أخرى، لا ندري مقدارها؛ كي نصل إلى التَّقدم المنشود؟ وبخاصة أنَّ العالم من حولنا يسير بسرعة مذهلة، ألم يحن الوقت لمراجعة تجاربنا السَّابقة؟

وشبهتهم من التَّعريب: خشيتهم من انقطاع الباحثين والأطباء عن مصادر المعرفة؛ بسبب اعتمادهم على العربيَّة وغيابهم عن المصادر الأجنبيَّة المباشرة في مجالي الطِّب

---

(١) ندوة **الرموز العلمية وأشكال الحروف العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ١٩-٢٠ (ربيع الأول- رمضان)، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣١.

(٢) الملائكة، جميل: **في مستلزمات المصطلح العربي**، مجلة مجمع اللغة العربية العراقي، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، ج ٢٤ ص ٩. وينظر: **مذكرة حول المصطلحات البترولية**، جيولوجيا وكيمياء، مجلة مجمع اللغة العربية العراقي، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، ج ٢٥ ص٣٥٣٣٣٤.

والعلوم.

نقول: إنَّ تعريب التَّعليم الجامعي ليس معناه الانقطاع عن تعليم اللُّغة الأجنبيَّة؛ «إذ لا أحد ينكر ضرورة هذه اللُّغة لكلٍّ من له صلة بهذه العلوم. فلابد من دراستها مستقلة في الكليات الجامعية، ولابد من تعريض الطُّلاب للكتب والمراجع الأجنبيَّة؛ حتى يستطيعوا البحث فيها والإفادة منها. بل لابد أن يتَّصل الأساتذة والأطِّباء بالبيئات العلميَّة الأجنبيَّة، سواء من خلال أوعية المعلومات المختلفة، من كتب، ومجلات، ووسائل بث علمي حديثة، أو من خلال المشاركة الفاعلة في المؤتمرات، والنَّدوات العلميَّة.

لقد أثبتت التَّجارب أنَّ الحرص على الاطلاع على الجديد في العلم والطب يعتمد – بالدَّرجة الأولى – على الشَّخص ذاته من حيث طموحه، وعشقه للعلم الذي تخصَّص فيه، ورغبته في تطوير نفسه وليس على مجرد دراسته هذا العلم بلغة أجنبيَّة ركيكة كما يحدث في جامعات الوطن العربي. والواقع يؤيِّد ما نقول، فكثير من الأطِّباء العاملين الذين تعلموا الطِّب باللُّغة الأجنبيَّة انتهت علاقتهم بالقراءة الطِّبيَّة من يوم أن تخرجوا من الكلية، وانصرفوا إلى عياداتهم التي يرابطون فيها آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، فمن أين لمثل هؤلاء الوقت لمتابعة المستجدَّات

في الطِّب؟! لقد تحوَّل كثير منهم إلى كتـاب ووصـفات طبيَّـة يفرغون فيها معلوماتهم التي تزوِّدهم بها، باسـتمرار شـركات الأدوية التي أخذت تكتب تعليمات ما تنتجه مـن أدويـة باللُّغـة العربيَّة، بناء على قرار حكيم من قبل مجلـس وزراء الـصِّحة العرب. وكان لهذا القرار الشُّجاع الآثار الجيدة التي رفعت مـن الوعي الصِّحي لدى النَّاس، وجنَّبتهم كثيرًا من المخاطر.

أمَّا الأطِّباء المتميِّزون – وكذلك العلماء من أي تخصُّص – فإنَّهم يحرصُون على تطوير أنفسهم بشتَّى الوسائل، فلا يتركون بابًا من أبواب المعرفة في تخصُّصهم إلا ولجوه، ومنهم أطبـاء تلقَّوا دراستهم الطِّبيَّة باللُّغة العربيَّة ومثل هؤلاء قـد لا يكتفـون بلغة واحدة أو اثنتين لتلبية احتياجاتهم، ولن يقف طموحهم عندما درسوه في الجامعة»[1].

أمَّا شبهتهم الأخيرة والتي فيها: أنَّ دراسة الطِّب والعلـوم بالعربيَّة هبوطًا بالمستوى، فأرى أنَّ هذا الشُّعور – غالبًا – يعود إلى عدم الثِّقة بالنَّفس «الذي ينتج عنه النَّظر بإعجاب لكلِّ ما هو أجنبي والنَّظر بازدراء لكل ما هو محلي، وإلا فإنَّ الطَّبيعـي أن يكون تمكن الإنسان من العلم الذي درسه بلغته أكبر وأعمق من تمكِّنه من العلم الذي درسه بلغة أجنبيَّة بعيدة عن مناخها العلمي

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٤٧.

والاجتماعي، فيكون مستواه تبعًا لذلك أرقى من مستوى من درس بلغة أجنبيَّة في البلاد العربيَّة. ومع ذلك فقد أثبتت الدِّراسات أن مستوى الأطِّباء السُّوريين الذين درسوا الطِّب باللُّغة العربيَّة ودخلوا امتحان المجلس التَّعليمي للأطبَّاء الأجانب في الولايات المتحدة لم يقل عن مستوى زملائهم من جميع أنحاء العالم. هذا مع العلم أنَّهم قد أدوا الامتحان باللُّغة الإنجليزيَّة»(١).

إنَّ لغتنا تستهدف كل يوم بسهامًا بالغة التَّأثير من قِبَل ما تحمله لنا أذرعة العولمة من ألفاظ دخيلة، وتعبيرات أجنبيَّة، وممارسات لغويَّة تحمل في طياتها بوادر العجمة والرَّطانة.

والأخطر من ذلك كله أن يتحوَّل الإنسان العربي، في بعض المواقع، إلى مسخٍ لا هو بالغربي ولا العربي، وأن تنعدم لديه الغيرة على اللُّغة التي هي أحد أبر مقومات هويَّته العربيَّة.

إنَّ الانبهار الشَّديد بوعاء الفكر الأجنبي القوي، والاستسلام الكامل للحضارة الوافدة الفتيَّة، ظاهرة تعتور الأمم المغلوبة سبق أن أشار إليها فيلسوفنا الفذ ابن خلدون حين خصَّص الفصل الثَّالث والعشرين من مقدمته للحديث عن: «أنَّ المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيِّه، ونحلته وسائر أحواله

(١) السباعي، د. زهير: مرجع سابق، ص ٣٣.

وعوائده». غير أنَّ ابن خلدون بذكائه الفذِّ ولماحيته النَّافـذة مـا لبث أن أتبع ذلك الفصل بفصل آخر يقرِّر فيـه: «أنَّ الأمَّـة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء»[1].

وتلك نتيجة مفزعة، واللُّغة إحدى مقوِّمات الأمة، فإذا كانت محاطة بلغات أخرى تزاحمها في مكانها، وتضيِّق عليها خناقها، وتقطع صلتها بأسباب النَّماء والازدهار؛ فإنَّها ستضطر – بـلا شكٍّ – إلى الانكفاء والتَّشرنق، ثمَّ التَّآكل والاضمحلال.

وبعد:

فإنَّه يبدو لي أنَّ قضية تعريب العلوم في ظـلال العولمـة وارفة التَّحديَّات تتعلَّق بالواقع العربي من حيث الإنتاج العلمـي بدفَّتيه النَّظري والتَّطبيقي. فقد ردَّدنا مرارًا أنَّ البحث العلمي في بلادنا ينقصه الكثير، وأنَّ الكوادر العلميَّة العربيَّة يُستفاد منها في الدُّول الكبرى على مرأى ومسمع من الحكومات العربيَّة.

ولم يأخذ – كذلك – البحث العلمي عندنا المكـان اللائـق الذي يجعله في مقدمة الاهتمامات الكبرى للدَّولة.

ومن المعروف أنَّ البلاد التي تنشد التَّقـدم يمثِّـل البحـث

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **المقدمة**، تحقيق درويـش الجويـدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤١٥هـ– ١٩٩٥م)، ص ١٣٧.

العلمي فيها الجسر الرَّصين الذي يؤدِّي إلى العبور الحضاري، والتَّفوق السِّياسي والاقتصادي. وبغياب مؤسَّسات البحث العلمي الجاد التي تسير وفق استراتيجيَّات مرسومة للتَّقدم يبدو البحث العلمي مشتَّتًا يسير بلا هدف مرسوم. وأكثر ما يقوم به أساتذة الجامعات من بحوث ينصرف لأغراض نفعية قصيرة المدى تتصل بترقياتهم الأكاديميَّة!! ولا يستفيد منها المجتمع في دفع عجلة التَّنمية، أو في المشاركة العالميَّة الجادَّة على أساس نِدِّي مع الدول الكبرى.

فالثَّقافة المستهلكة السَّائدة في البلاد العربيَّة تمشي على وتيرة واحدة. أضف إلى ذلك أنَّ أيَّ تقدُّم علمي من إبداع، أو اختراع، فإنَّه لا يلقى اليد الآمنة التي تحفظه وترعاه، بل ولا يوظَّف عمليًّا للارتقاء والنُّهوض على المستويين: الوطني، والإقليمي مقارنة بما يدور في بوابة الصِّناعة الغربيَّة مسهمًا في تقدُّمها وإنمائها.

إنَّ العولمة سلاح ذو حدَّين يمكن أن تتحوَّل بين أيدينا إلى آلة نافعة لنا، ويمكن أيضًا أن تكون آلة تساعد على الانتحار. وإذا كنَّا ندخل كلَّ يوم صراعًا حضاريًّا برغبتنا أو بعدم رغبتنا، ونتحدَّث كثيرًا عن مخاطر العولمة، أو بعبارة أخرى عصر الهيمنة الجديدة بوجوهها المتعدِّدة، فإنَّ من الواجب علينا أن

نحصر مواقع الخطر على وجودنا، وأن نناقش بصراحة أوجُـه الخلل التي يمكن أن نؤتَى منها، ونضع الحلول والاستراتيجيَّات التي تصبُّ في صالح حماية الذَّات، دون إيغال فـي التَّقوقـع أو انعزال عن مجرى الحياة المعاصرة بمعطياتها الإيجابيَّة الكثيرة. وأن نغيِّر من أسلوبنا في تناول قضايا العصر المهمَّة حتى نكسب لأمَّتنا مواقع متقدِّمة في صراعها مع الأخرى في ضوء ثقافتنـا العربيَّة، وهويَّتنا الإسلاميَّة.

وبالجملة فإنَّنا بحاجة إلى:

١- بناء الوعي اللُّغوي بين أفراد الأمَّة من خلال: إيقاظ غيرتهم على تراثهم الثَّقافي، وإعادة ما تصدَّع من ثقتهم بهذا التُّراث، وتحقيق صور الاعتزاز به بوصفه مقوِّمًا مهمًّا من مقوِّمات الشَّخصيَّة العربيَّة.

٢- ترجمة الكتب والبحوث العلميَّة المتنوِّعة وفَقْ استراتيجيَّات مدروسة مقنَّنة بالتَّعاون مع مراكز البحث العلمي في الجامعات العربيَّة من خلال إنشاء مؤسسات خاصة لذلك؛ ومن ثمَّ يتكون أجيال من العلماء مزدوجي اللُّغة، تمكنوا من ناصية العلم ومن اللُّغة الأجنبيَّة، وأتقنوا لغتهم العربيَّة إتقانًا يمكنهم من معرفة خصائصها وقدراتها، والإحساس الكامل بدقائق معانيها، حتى يتمكَّنوا من الغوص في أعماقها،

واستخلاص المصطلحات منها، وصياغتها صياغة عربية أصيلة مشرقة. يقول نيومارك: «لابد للمترجم أن يعرف لغته الأولى، وموضوع تخصُّصه، واللُّغة الهدف بهذا التَّرتيب. هذا وكثيرًا ما تحميه براعته في المتطلب الأول من الوقوع في أخطاء فادحة في المتطلبين الثَّاني والثَّالث»[1].

وذلك ما دعاه الدكتور أحمد شفيق الخطيب بالتَّكامليَّة اللُّغوية العلميَّة، التي تشتدُّ الحاجة إليها في عصرنا الحاضر[2].

٣- مواجهة السَّيل الجارف من المصطلحات العلميَّة الوافدة باستنفار قدرات لغتنا العربيَّة، قبل أن نستقبل الدَّخيل ونضمه إلى معجمنا اللُّغوي؛ وذلك لأنَّ في اللُّغة العربيَّة – كما يقول الشَّيخ أحمد علي الإسكندري في مطلع اعتراضه على قرارات المجمع – «غنية عن استعمال كثير من الألفاظ الأعجميَّة، وأنَّ في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النَّغم والجرس الكثيرة الاشتقاق مما يصلح أن يوضع للمسمَّيات الحديثة بدون حدوث اشتراك؛ لأنَّ بعثها من مراقد الإهمال والنسيان يصيرها

(١) نيومارك، بيتر: **دليل الترجمة**، ترجمة محمود. إسماعيل صيني، دار العلوم، الرياض، (١٤١٥هـ- ١٩٨٥م)، ص ٨٩.

(٢) نيومارك، بيتر: مرجع سابق، ص ٢٩١.

كأنها موضوعة وضعًا جديدًا لها»، وأشار إلى تقييد القرار بلفظ "بعض" دون جنس الألفاظ، وأنّ ذلك «يفيد أن المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها، لا الأدبيَّة ولا الألفاظ ذات المعاني العاديَّة التي يتشدَّق بها مستعجمة زماننا هذا من أبناء العرب»[1].

هذه الغنية التي تحدَّث عنها الإسكندري، استطاع الدكتور عبد الله غنيم من خلالها انتخاب مصطلحات عربيَّة لأشكال سطح الأرض اعتمادًا على دراسات ميدانيَّة مقارنة، تناولت بعض تضاريس الأرض في الجزيرة العربيَّة؛ هادفًا من ذلك كما يقول إلى إعطاء منهج عملي في كيفية وضع المصطلحات الجغرافيَّة المتعلِّقة بأشكال السَّطح، حيث تم الرَّبط بين نصوص التُّراث القديم، والمعلومات المتوفرة. ذلك ما يخصُّ الجيولوجيا والجغرافيا، أمَّا العلوم الأخرى فهناك محاولات للرَّبط بين تراثنا، وما استجدَّ من مصطلحات علميَّة منشورة في بطون المجلات العلميَّة[2]، وبعض المعجمات المتخصِّصة[1] على قلَّتها.

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، ج١ ص ٢٠٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: الشبيبي، محمد رضا: **تراثنا القديم من المصطلحات**، مظانه ومصادره، ومعجم المصطلحات المهنية الواردة في كتاب الأنساب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ١٤ ص٥٣-٧٣.

- الصيرفي، حسين كامل: **علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية**،

الثاني: اللُّغة الأجنبيَّة ومقياس تقدم المجتمع:

منذ أن ابتليت البلدان العربيَّة بالاستعمار الأوروبي كان التَّحدي الحضاري أقوى الأسلحة، وكان موضوع اللُّغة العربيَّة من أكثر جوانب هذا التَّحدي وضوحًا، فقد باتت اللُّغة العربيَّة

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٤ ص ١٤٢-٤٩.

- شوقي، جلال: **مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب**، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ١٦ ص ١٧١-١٩٥.

- عنان، محمد عبد الله: **جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية في الأندلس**، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٥ ص ١١-٢٠.

(١) انظر على سبيل المثال: عبد الله، عبد العزيز: **المعجم الصوفي**، الرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب بلا تاريخ.

- عبد الله، عبد العزيز: **المعجم الفقهي المالكي**، الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب سنة ١٩٦٥م.

- خطاب، محمود شيت: **المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم**، بيروت، دار الفتح سنة ١٩٦٦م. **ومعجم فقه ابن حزم الظاهري**، دمشق لجنة موسوعة الفكر الإسلامي، جامعة دمشق سنة ١٩٦٦م.

- حماد، نزيه: **معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء**، هيرندون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١١هـ-١٩٩٣م.

- محفوظ، حسين علي: **معجم الموسيقى العربية**، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٤م، ويضم في قسمه الأول المصطلحات العربية القديمة.

- الدمياطي، محمود مصطفى: **معجم أسماء النباتات الواردة في "تاج العروس" للزبيدي**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

مهدَّدة بالغزو من قِبَل اللُّغات الأجنبيَّة الوافدة.

فنَصَبَ الصِّدام الحضاري للعربيَّة الفخاخ، وحاك في طريق نهضتها الشِّراك ووضع الخطط؛ كي يمنعها من أداء وظيفتها في المجتمع، ويلغيها من حياة النَّاس ويستبدل بها لغته وثقافته، فتمَّ له النَّجاح في مواقع عديدة؛ إذ حول التَّعليم إلى اللُّغة الأجنبيَّة، وجعل اللُّغة الدَّخيلة هي لغة التِّجارة والمال.

يقول الدكتور الضبيب: «وفي كثير من البلدان العربيَّة جعل الاستعمار لغة الدَّواوين هي: اللُّغة الأجنبيَّة، وأنشأ طبقة تدين لهذه اللُّغة من النَّاحية الثَّقافيَّة واللُّغويَّة، فلا ترى الدُّنيا إلا من خلال اللُّغة الأجنبيَّة ولا تستطيع الحديث إلا بها، وأنشأ طبقة في المجتمع تتعلَّق بالغرب وتنتمي إليه ثقافيًّا وتنظر بازدراء إلى ثقافتها الإسلاميَّة ولغتها العربيَّة، فلم يضمن بذلك ولاءها اللُّغوي وحسب، وإنَّما ضمن – أيضًا – ولاءها الأيديولوجي، كان من نتيجة ذلك حدوث انشقاق في صفوف بعض تلك الشُّعوب قضى على وحدتها الوطنيَّة وتسبب في إثارة الفتن والنَّعرات بين أبناء الشَّعب الواحد، الأمر الذي ما نزال نرى آثاره المدمِّرة ماثلة أمام أعيننا»(١).

لكنَّ الجمعيَّة التشريعية كانت أبعد نظرًا فقد تحوَّل التَّعليم

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٧٢.

منذ ذلك الوقت إلى اللُّغة الأمِّ، ولم يأت عام ١٩١٢م حتى اكتمل التَّدريس في جميع المدارس الابتدائيَّة باللُّغة العربيَّة(١).

لقد تكشَّفت الأحوال المعاصرة للبلاد العربيَّة عن أوضاع تشبه إلى حدٍّ كبير أوضاع البلاد العربيَّة في نهاية القرن التَّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وحين دخل الاستعمار إلى مشرق الوطن العربي وفرض لغته وأغرى بها الجماهير، وجعل إجادتها شرطًا من شروط الحصول على لقمة العيش فاضطرهم إلى تعلُّمها، وجعلها لغة الصَّفوة والحظوة، وأقصى العربيَّة عن الإدارة والتَّعليم ومجالات حيويَّة كثيرة.

فما أشبه اللَّيلة بالبارحة، وما أشبه الأجواء الثَّقافيَّة لعهد العولمة الحاضر بالأجواء الثَّقافيَّة لعهد الاستعمار الغابر، من حيث تسويغ الاستلاب الثَّقافي عن طريق الهجوم الشَّرس على اللُّغة العربيَّة، ومحاولة زعزعتها عن مكانها الطَّبيعي في حياة أبنائها وإحلال اللُّغة الأجنبيَّة مكانها بمسوِّغات بالية أثبت الزَّمن عدم جدواها.

وسوق العمل مثال – آخر – واضح لمظاهر العولمة الضَّارة التي تستهدف القضاء على الهويَّة وتدمير ملامحها الأصيلة.

وعن انتشار اللُّغة الأجنبيَّة في سوق العمل يقول الدكتور

---

(١) الدسوقي، عمر: مرجع سابق، ج٢ ص ٤٨.

الضبيب: «إنَّ اللُّغة الأجنبيَّة تتمدد في سوق العمل لدينا بصورة سرطانيَّة تنهش هويتنا وتهزأ بوجودنا، وتحاول أن تجعل منّا ماضيًا وأشباحًا تدور في فلك غريب يبعد بنا عن تكويننا الثّقافي وجذورنا الأصيلة وملامح شخصيتنا المتميزة، وفي ذلك خطى لابد من التنبه له، وأخذ الحيطة منه، والتحرك بسرعة لتفادّيه قبل أن تلَغنا العولمة بضباطها وتأخذها بأمواجِها إلى حيث تتعذر الرؤية ويصعب الرجوع»(1).

وهنا نتساءل هل معرفة اللُّغة الأجنبيَّة منفردة سبب لتقدُّم الأمَّة؟ وهل إجادتها من قبل مواطني دولة من الدول يدخل هذه الدولة في عداد الدول المتقدِّمة؟ وبعبارة أخرى: هل اللُّغة الأجنبيَّة هي المفتاح السِّحري لولوج عالم الحضارة المعاصرة؟

وهذه مصر مثالاً حيًّا بأبنائها المخلصين، الذين لم يحنوا هاماتهم لإغراءات الوضع الاقتصادي الطارئ، ولم يرضخوا لآليَّات السُّوق التي يستند إليها كثير من المفكرين ذوي المنحى الاقتصادي البحت، فينظرون من خلالها إلى قضايا التّنمية دون استشراف للمستقبل، أو نظر إلى الانعكاسات السَّلبيَّة على الأساسيَّات التي لا يجوز التّفريط فيها لقاء أي مكسب وقتي.

---

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٦١.

ومن حيث التّقدّم والرُّقي هل تقارن أي دولة إفريقيّة استُعمرت وخلّف الاستعمار فيها لسانه الأجنبي يتحدَّث به النَّاس ويكتبون بمصر المحتفظة بلغتها العربيّة، والتي حقّقت عبر تاريخها الحديث تقدمًا يفوق كثيرًا ما حقّقته تلك الدول النَّاطقة بالإنجليزيَّة، أو الفرنسيَّة، التي ترك المستعمر فيها مع لغته الفرقة والحروب والجوع والتَّخلُّف؟[١].

في سنة ١٨٩٩م صدر في مصر قرار ينص على أن تكون الإنجليزيَّة لغة التَّعليم بجميع مراحله في المدارس المصريَّة، وذلك بتدبير من الاستعمار البريطاني، الذي كان يهدف إلى محو الشَّخصيَّة العربيَّة الإسلاميَّة في مصر، وأول قلاع هذه الشَّخصيَّة هي اللُّغة العربيَّة التي أراد طمسها وإبعادها عن الحياة وتمكين اللُّغة الإنجليزيَّة من السيطرة على جوانب الحياة المختلفة. فأصبحت اللُّغة الدخيلة سيدة الموقف في دواوين الدولة والقطاع الخاص، وتعذر على المواطن المصري الحصول على عمل مناسب ما لم يتقن اللُّغة الإنجليزيَّة، كما هو الحال في دول الخليج.

غير أنَّ المخلصين من أبناء مصر تصدُّوا لذلك القرار الجائر، فأخذوا يطالبون بعودة اللُّغة العربيَّة إلى مجال التَّعليم، بل

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٦٧.

إنَّ بعض المواطنين امتنعوا عن إرسال أبنائهم إلى المدارس التي لا تعلم أبناءها بلغتهم العربيَّة، وبعد أن مضى على تطبيق هذا القرار ما يقارب ثمانية أعوام تقدم مجموعة من الرِّجال المخلصين الأعضاء في الجمعية التشريعية سنة ١٩٠٧م باقتراح يطالبون فيه بإرجاع اللُّغة العربيَّة إلى المدارس، وإبطال التَّعليم باللُّغة الإنجليزيَّة، وأن يبدأ ذلك من العام القادم ١٩٠٨م.

لقد نظر كثير من النَّاس ذوي النَّظرات الضَّيِّقة والحاجات الآنية المؤقتة إلى هؤلاء المطالبين بعين الدَّهشة، وظنوا أنَّ في العودة عن قرار التَّعليم باللُّغة الإنجليزيَّة كارثة محقَّقة ستحل بالنَّاس الذين يحتاجون للوظائف المحتكرة من قبل قوى الاستعمار (بشقيه السِّياسي والثَّقافي) ووفق توجهاته، ويصور لنا هذا الهلع سعد زغلول، الذي كان آنذاك يتولى منصب نظارة المعارف، فقد ألقى خطابًا في الجمعيَّة التَّشريعيَّة طالب فيه الأعضاء بعدم الموافقة على إعادة اللُّغة العربيَّة إلى المدارس؛ لما يسببه ذلك من ضرر – على حد زعمه – وكان مما قاله: «الحكومة لم تقرِّر التَّعليم باللُّغة الإنجليزيَّة إلا ليتقوَّى التَّلامذة فيها، ويمكنهم الاستفادة من المدنيَّة الأوروبيَّة، ويفيدوا بلادهم، ويقدِّروا على الدُّخول في معترك الحياة، حياة العلم والعمل .. إذا فرضنا أنَّه يمكننا أن نجعل التَّعليم من الآن باللُّغة العربيَّة، وشرعنا فيه فعلاً فإنَّنا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا

إساءة كبرى؛ لأنَّه لا يمكن للذين يتعلَّمون على هـذا النَّحـو أن يتوظَّفوا في الجمارك والبوسطة والمحاكم المختلطة والمـصالح العديدة المختلفة التَّابعة للحكومة، والتي يقتضي نظامهـا وجـود كثيرين من الموظفين العارفين بإحدى اللُّغـات الأجنبيَّـة حـقَّ المعرفة، ولا أن يستخدموا في بنك أو مصرف، ولا أن يشتركوا في شركة من الشَّركات الأجنبيَّة التي كثـر تأسيـسها الآن فـي بلادنا، ولا أن يكونوا محامين أمـام المحـاكم المختلطـة، ولا مترجمين، ولا غير ذلك من كل ما يحتاج إلى البراعة في لغـة أجنبيَّة وهو كثير جدًّا في بلادنا»(١).

إنَّ اللُّغة أهم مظاهر السِّيادة، فإذا استغنى عنها بلغة وافـدة صارت الهيمنة اللُّغويَّة لغير اللُّغة الأم؛ ومن ثمَّ تـسقط الهويَّـة، وتضيع وهي الإطار والسِّياج المنيع لثقافتنا العربيَّة.

ومصلحة السُّوق الوطني لن يتـأثَّر إذا اسـتخدمت اللُّغـة الأصل ولم نر دولة متقدِّمة استخدمت لغتها في الحيـاة الثَّقافيَّـة والاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة فأخفقت وسنضرب لذلك ثلاثة أمثلة:

الأول: أنَّ القانون الفرنسي الصَّادر فـي أغـسطس سـنة ١٩٩٤م المتعلق باستخدام اللُّغة الفرنسيَّة. ينص في المواد ٢ و٣ و٤ على لزوم استخدام اللُّغة الفرنسيَّة في بيان وتسمية الممتلكات

---

(١) الدسوقي، عمر: مرجع سابق، ج٢ ص ٤٧.

والمنتجات والخدمات وتقديمها وعرضها وكذلك في النّصوص الدِّعائية،والإعلانات المخصَّصة للإعلام الجماهيري ومنها:

أ- جميع الوثائق المخصصة لإعلام المستخدم أو المستهلك الملصقات أو الكراسات، المنشورات الدّعائية. الكتلوجات، وغيرها من الكتيِّبات الإعلاميَّة، وكذلك إيصالات الطَّلبيَّات وإيصالات التَّسلُّم، وشهادات الضَّمان وطرائق الاستعمال.

ب- قوائم وجبات الطَّعام، والفواتير، وبراءات الذِّمة، وإيصالات الدَّفع، وتذاكر النَّقل، وعقود التَّأمين وعروض الخدمات الماليَّة وكذلك طرائق الاستعمال المرفقة ببرامج الحاسب وألعاب الفيديو المتضمَّنة تعليمات تظهر على الشَّاشة أو إعلانات صوتيَّة مصاحبة لطرائق الاستخدام. ولا أريد أن أطيل في الاقتباس والتَّلخيص، وإنَّما أردت أن يظهر كيف تحمي الأمم المتقدِّمة في مضمار الحضارة هويَّتها وشخصيَّتها من خلال الحفاظ على لغتها في عصر العولمة.

ففرنسا أكثر أمم الأرض اعتناء بلغتها وحرصًا عليها وعلى نشرها بين النَّاس، والمحافظة على المناطق التي انتصرت فيها هذه اللُّغة وانتشرت فيها، وتتبدى جهودها المكثفة في أنشطة كثيرة سواء من خلال المؤسَّسات العلميَّة المختلفة أو من خلال منظمة الفرنكفونية التي أصبحت منظمة سياسيَّة تستقطب الدُّول

النَّاطقة بالفرنسيَّة، وتعمل على ربط هذه الدُّول من كمبوديا حتى كندا باللُّغة الفرنسيَّة والثَّقافة الفرنسيَّة وما ينبثق عن هذه المنظَّمة من مؤسَّسات تعمل جميعها في خدمة هذه اللُّغة، والثَّقافـة التـي ترتبط بها.

المثال الثَّاني: يمكن أن يؤخذ من ممارسات الدُّول المتقدمة في هذا المجال، فالسِّياحة مثلاً من أكثر الصناعات ازدهارًا فـي أوروبا ومع ذلك فإنَّ الأوروبيين لا يكادون يغيرون من أنماطهم التقليديَّة – وعلى رأسها اللُّغة – شيئًا من أجل عيون السُّياح.

ويرتاد إسبانيا سنويًّا أكثر من ٥٠٠٠٠٠٠٠ (٥٠ مليـون سائح) وتُعدُّ السِّياحة الصِّناعة الأولى في البلاد ومع ذلك لم يكتب الأسبان أسماء شوارعهم أو تعليمات المرور بلغة أجنبيَّـة، ولـم يغيروا الإرشادات في متاجرهم أو مقاهيهم أو فنادقهم إلى اللغـة الأكثر استعمالاً في العالم، أعني اللُّغة الإنجليزيَّة.

ويذكر الدكتور الضبيب أنه نزل مرة في فندق من فنـادق الدرجة الأولى في مدينة قرطبة التَّاريخيَّة المكتظة بالسُّياح الذين يتحدث أكثرهم اللُّغة الإنجليزيَّة، ومع ذلك وجدت صعوبة حقيقيَّة في التَّحدث مع العاملين في الفندق اللُّغة الإنجليزيَّة؛ إذ لم أجـد

منهم من يملك الحد الأدنى من هذه اللُّغة[1].

المثال الثالث: دولة اليابان التي بدأت نهضتها في شتى مجالات الحياة في وقت قريب جدًّا من النَّهضة في البلاد العربيَّة ففي مقال نشرته صحيفة أساهي شيمبون اليابانية وترجمته ونشرته جريدة الشَّرق الأوسط يوم الثَّلاثاء ٢٠٠٠/٣/٧م بعنوان "اليابان إنجليزيَّة ضعيفة وجهل بالعالم" جاء ما مفاده أنَّ كبار المسئولين السِّياسيين في اليابان لا يحسنون الإنجليزيَّة، وأنَّ الشَّعب الياباني لا يعطي أهميَّة كبيرة لتعلُّم اللُّغة الإنجليزيَّة، بل إنَّ اليابانيين يعانون من ضعف شامل في اللُّغة الإنجليزيَّة، وأنَّ مصلحة الامتحانات التَّربوية في الولايات المتحدة قد بيَّنت أنَّ ترتيب اليابان يأتي في المركز الثامن عشر بين الدُّول الآسيويَّة التي اشترك رعاياها في امتحانات اللُّغة الإنجليزيَّة والتي بلغ عددها ٢١ دولة.

ولسنا ندري أي دولة آسيوية احتلَّت المركز الأول بين هذه الدُّول، ولكن من المؤكَّد أنَّها لا يمكن أن تقف ندًّا لليابان من حيث التَّقدُّم العلمي والتَّقني، وما أنجزته هذه الدُّولة من فتوح حضاريَّة أذهلت العالم وجعلته يحسب لها ألف حساب. ومعنى هذا أيضًا أنَّ اللُّغة الأجنبيَّة لم تكن عاملاً رئيسًا في نهضة اليابان

(١) الضبيب، د. أحمد: مرجع سابق، ص ٦٠.

الحضاريَّة، فقد اختطَّت هذه الدَّولة لنفسها خطًّا مستقلاً يأخذ من ثقافة الآخرين وعلومهم، ولكنه لا ينفصل عن لغته وتراثه وقيمه الثَّابتة.

فنحن ندخل سباقًا رهيبًا لا خيار لنا فيه، والعالم يتحرك بسرعة وإذا كنَّا نريد للغتنا أن تصمد، وأن تحفظ من الذوبان الحضاري والاضمحلال، فلابد من إيقاظ الوعي اللُّغوي عند الأفراد والمؤسَّسات، ووضع الخطط المناسبة، وتقوية المناعة

والتعامل مع اللغة الاجنبيّة بشيء من الحذر، وبث الوعي بين الناس بأهمية الانتباه إلى الشَّأن اللُّغوي بوصفه مكونًا مهمًّا من مكونات الشَّخصيَّة العربيَّة الإسلاميَّة؛ لأنَّ الشَّأن اللُّغوي من أهم المواقع التي بدأ الخطر يتسرب إليها عن طريق الغفلة عن هذا الخطر، وعدم وجود وعي لغوي لدى العرب يدفعهم إلى الحفاظ على لغتهم، وإدراك أن ضياع اللُّغة يمثل ضياعًا للهويَّة، وما يرتبط بها من أساسيَّات الوجود فاللُّغة العربيَّة هي لسان ديننا وحصن ثقافتنا، وأهم ملمح من ملامح شخصيتنا، ولا شك أنَّ إحلال اللُّغات الأجنبيَّة محلها في التعليم والسوق وشؤون الحياة الأخرى يمثل اعتداء على وجودنا وعبثًا بكرامتنا، وتنكرًا لثقافتنا الأصيلة، فما أحوجنا إلى أمن لغوي نحصن به أمننا الثَّقافي، الذي تحاول ثقافة العولمة أن تخترقه وتقوضه.



الفصل الثالث

العربيّة بين العولمة والهويّة الإسلاميّة

الفصل الثالث

العربيّة بين العولمة والهويّة الإسلاميّة

إنّ موضوع العولمة وأثرها على الحياة الثّقافيّة ليس بالأمر الجديد، فلطالما ربط هذا الموضوع بهدم الهويّة الحضاريّة، التي اعتُبرت الضّحية لفرض حضارة الغرب المستهلكة والقول: إنّ العولمة تذيب الهوية نشوءة الحياة التي عاشها النّاس في الماضي، حيث انتمت الجماعات البشريّة إلى ثقافاتها الواضحة المميّزة، والمحدّدة بالزّمان، والمكان، والمرتبطة بالموروث الثّقافي وعبر الزمن شكلت بهذه الخصائص الهوية الحضاريّة، ولعدة قرون بقيت هذه الهويّة ملكًا وجوديًا آمنًا. وكون اللّغة إحدى مكونات هذه الهويّة فقد عاشت هي الأخرى ردحًا لا بأس به من الزّمان تنعم بالاستقرار والأمن، وكون اللّغة والهويّة من مقوّمات وجود وكيان أيّ أُمّة. حيث يوجد بين مفهومي الهوية والعولمة وشائج وعلاقات جدليّة فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم والأشياء. إنّهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آنٍ معًا. وفي دائرة هذا التّجاذب والتّقاطب، يأخذ مفهوم الهويّة على الغالب دور الطّريدة بينما يأخذ مفهوم العولمة دور الصيّاد. فالعولمة تطارد الهويّة وتلاحقها وتحاصرها وتجهز

عليها، ثمَّ تغتذي بها، وفي دائرة هذه المطـاردة تعانـد الهويَّـة أسباب الذَّوبان وتشدّ في طلب الأمن والأمان، وتتشبث بـالوجود والدَّيمومة والاستمرار.

إذن فالعولمة تعني ذوبان الخصوصيَّة والانتقال من الخاص إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن المحدود إلى الـشامل، ومن المتعيِّن إلى اللامتعيِّن. وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الهوية اتجاهًا متقاطبًا كليًّا مع مفهوم الشُّموليَّة والعموميَّة. فالهويَّة انتقال من العام إلى الخاص، ومن الشامل إلى المحدود، ومن اللامتعيِّن إلى المتعيِّن. فمفهوم الهويَّة يبحث عن التَّمايز والتَّباين والمجـسَّد والمشخَّص والمتفرد والمعيَّن، أمَّا العولمة فهي بحث لا ينقطـع عن العام والشَّامل المجرد والمتجانس واللامحدود.

لقد طرحت قضيَّة العلاقة بين مفهوم الهويَّة والعولمة نفسها واحدة من أهم القضايا أكثرها صعوبة وتعقيدًا وأشدها حـضورًا في عمق الجدل الدَّائر حول العولمة ذاتها في العقود الأخيرة من الزمن. إنَّ السؤال المركزي الذي يطرح نفسه في سـياق هـذه العلاقة هو: هل تؤدِّي العولمة إلى ذوبان الهويَّة القوميَّة وتهميش الثَّقافات الوطنيَّة؟ وهل تؤدي أيضًا إلى تفتيت وتدمير الثَّقافـات الوطنيَّة تحت تأثير هويَّات جديدة متنافرة غالبًا ما تكون هويَّـات عرقيَّة، وطائفيَّة، ودينيَّة؟ هل تعمل العولمة على توحيد العالم أو

على تجزئته وتدميره ثقافيًّا؟ هل تعمل على تفتيت العالم والتهامه مجددًا؟ هل تسعى العولمة إلى بناء ثقافة إنسانيَّة واحدة أم أنَّها تدعو إلى تعدُّد ثقافي، وتنوع قومي؟ وإذا كان هذا صحيحًا فهل تعمل حقًّا على تحقيق مبدأ التَّكافؤ بين الهويَّات الثَّقافيَّة، والقوميَّة المختلفة؟ هل تعني العولمة حالة تجانس ثقافي يجسد مقولة نهاية التَّاريخ كما يقول فوكويوما؟ أم أنَّها حالة من الصِّراع بين حضارات متباينة كما يذهب صمويل هنتنغتون؟[1].

يذهب أغلب المفكرين والباحثين إلى الاعتقاد بأنَّ العولمة فعلّ يقلِّص امتداد الكون في هوية واحدة متجانسة ثقافيَّة، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا. فالعولمة وفقًا لهذا المنظور تعمل على بناء ثقافة واحدة وتسعى إلى تذويب الحدود والحواجز الثَّقافية الواحدة والحياة الاقتصاديَّة الواحدة. ومن ثمَّ فإنَّ ثقافة العولمة هي ثقافة الشَّركات العابرة للجنسيَّة والقوميَّات والثَّقافات، بحيث تنطوي على العنف الذي ينكر حقَّ الاختلاف للغير بدلاً من أن يعطي فسحة للتَّثاقف المبني على التبادل. فالعولمة سيطرة للثَّقافة الغربيَّة على سائر الثَّقافات، وهي امتداد للاستعمار[2].

ويمثل هذا الاتجاه بجدارة الطيب التيزيني الذي يعرف

(1) S, Hantington "Clash of Civilizations": p. 38.

(٢) بلقيز، عبد الإله: مرجع سابق، ص ٩١.

العولمة «بأنها نظام اقتصادي سياسي اجتماعي وثقافي يسعى إلى ابتلاع الأشياء والبشر في سبيل تمثلهم، وهضمهم، وإخراجهم سلعًا»[1]. وهذا يعني أنَّ هذا النظام يعمل باتجاه تفكيك الهويَّات والمؤسَّسات بهدف التَّمكين لهوية واحدة هي هويَّة «السِّلعة ... كي يتسنى له الهيمنة غير المشروطة على العالم من خلال هويَّة سوقيَّة سلعيَّة كونيَّة عالميَّة»[2]. ففي دائرة العلاقة بين الغرب والعرب يميز التيزيني بين الغرب المتقدِّم العملاق وبين الواقع العربي المتخلف والتَّابع.

ومن ثمَّ فإنَّ العلاقة بين العالمين هي علاقة غير متكافئة تسمح باختراق العالم الأول للعالم الثَّاني اختراقًا يتسع باستمرار مع تعاظُم قوة الغرب وتضاؤُل قوة العرب. وفي إطار هذه العلاقة يتحوَّل الطَّرف العربي إلى واقع مستباح بحيث يقوم الطَّرفَ الأول الذي هو الغرب بتفكيك معالم الطَّرف الثَّاني العربي وإعادة بنائه وفقًا لمقتضيات السُّوق[3].

ولعل أبرز كونيَّة الثَّقافة: السَّيطرة الاستعماريَّة، وما رافقها من ثورة صناعيَّة في جميع المجالات، وكذلك ثورة الاتِّصالات

(١) التيزيني، الطيب: مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) التيزيني، الطيب: مرجع سابق.

(٣) التيزيني، الطيب: مرجع سابق، ص ٢٠.

وعلوم الحاسب.

فالعولمة في هذا الوعاء تطرح نفسها ثقافة عابرة للقوميَّات والجنسيَّات تسعى لتدمير التَّقاليد والعادات الموروثة في المجتمعات التَّقليديَّة(١).

وهنا سؤال يطرح نفسه في هذا الإطار هو: ما الهويَّة وما وجه الاختلاف بين الهويَّات القوميَّة والهويَّة؟ وما علاقة الهويَّة بالثَّقافة؟.

وثقافة العولمة في الأدبيَّات الحديثة لها صورتان:

الصُّورة الأولى: ثقافة الثَّقافة، وهي التي تتَّصل بالآداب والفنون والعلوم.

الصُّورة الثَّانية: الثَّقافة الاستهلاكيَّة التي تتَّصل بإشباع الحاجات الأوليَّة البدائيَّة إنَّها بالتَّأكيد هويَّة استهلاكيَّة مسطَّحة لا عمق فيها ولا معنى تفرضها ثقافة السِّلعة والتَّسويق والرِّبح. إنَّها هذا الصنف من الثَّقافة الذي يوحِّد شباب العالم في نمط استهلاك مجنون مبتذل إنَّها ثقافة استهلاك تتمثَّل في "الهامبورجر، والأزياء، والمأكولات، والبيتزا، والمياه الغازية، والأفلام السينمائية، وأغاني مادونا ومايكل

(١) صاهر، مسعود: **خصوصية الثقافة الكونية**، العربي، العدد ٤٣٨، ١٩٩٥م، ص ٦٠.

جاكسون، وملابس الجينــز، وماركــات كلفــين كلايــن، وبينيتون، والتايتانك، وحرب النجوم[١].

ومن هذه الزّاوية ترتفع أصوات المفكرّين في التّمييز بــين نسقين في بنية الثّقافة القادمة إنّ الخطر الــذي يواجـــه الثّقافـــة الوطنيّة ويهدّد وجودها، يتمثّل في العناصر الثّقافيّة التي تمــسخ عقول الشّباب فتدفعهم إلى تمثّل عادات ممسوخة وقــيم ســلبيّة مستلبة، تلك هي الثّقافة العولميّة المشبوهة اللاإنسانيّة التي تختزل الكون في ثقافة الفوضى، والجنس، والتّسلط، والاستهلاك، تلــك هي الثّقافة العولميّة التي تجاول أن تغزونـــا بإمكانيّـــات تقنيـــة ضخمة لا قِبَل لنا بمواجهتها أو مقاومتها مـــن تلفـــاز وســـينما ومؤسّسات إعلام عالميّة وأقمار صناعيّة[٢].

وتشكل الهويّة قدرة الإنسان على الحكم على الأشياء مـــن حوله فهي «المعبر الأصيل عن الخصوصيّة التّاريخية للإنـــسان ومهامه، وقدراته، وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن

(١) عبد الله، عبد الخالق: **العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامـــل معهـــا**، عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩م، ص ٧٩.

(٢) زكريا، فؤاد: **خطاب إلى العقل العربي**، الكتاب الـسابع عــشر، الكويـــت، ١٩٨٧م، ص ٤٠.

يعمل»[1]. وتتكوّن الهويّة الثّقافيّة: مستويات ثلاثة متداخلة: فرديّة، وجمعويّة، ووطنيّة، وقوميّة، والعولمة أيديولوجيًّا تعكس إرادة الهيمنة على العالم، حيث إنّها تقي للآخر، وإحلال للاختراق الثّقافي محل الصّراع الأيديولوجي، وتسعى العولمة إلى تكريس الثّنائية على المستويات العامّة والخاصّة جاعلة الشّعب فئتين: فئة متعلم، وفئة أخرى في عزلة[2].

وعن ثقافة العولمة والهويّة يرى عبد الإله بلقزيز أنّها «ثقافة ما بعد المكتوب، الثّقافة التي يُؤرّخ ميلادها لاحتضار الثّقافة المكتوبة وليست ثقافة ما بعد المكتوب سوى ثقافة تلك الصّورة، وتشكل اللّغة، والدّين المادّة الثّقافيّة للعولمة حيث إنّ نظامها سمعي وبصري واللّغة تكملها»[3].

وترتبط الهويّة بالأصالة، ويعرفها علي بن محمد بأنّها «التمايز عن الأغيار في النواحي كافة فهي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق»[4].

أمّا جان فريمون فقد عرف الهويّة بأنّها «إحساس متماسك

(١) الجابري، محمد عابد: مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) الجابري، محمد عابد: مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) بلقيز، عبد الإله: مرجع سابق، ص ٩١.

(٤) التهانوي، علي بن محمد: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت.

بالذَّات وهي تعتمد على قيم مستقرَّة وعلى قناعة بأنَّ أعمال المركز ذات علاقة متناغمة، فالهويَّة شعور بالكليَّة والاندماج، ومعرفة ما هو خطأ وما هو صواب»[1].

وتأثير العولمة على الهويَّة من أشدِّ الأخطار، يعتبرها محمد قطب[2] أسوأ أشكال الإمبرياليَّة حيث إنَّها صورة متعجرفة تسحق النَّاس وتَقْضِي على هويَّتهم وتحولهم إلى أتباع وعبيد وهي أساسًا ضدُّ المسلمين تنشر خبثها - كالأخطبوط - في السِّياسة والفكر والدِّين والأخلاق والثَّقافة والعادات والتَّقاليد، حيث إنَّ الإسلام هو الدِّين الأمثل الذي يدعو إلى التَّنوع بينما العولمة تفرض نموذجًا واحدًا من الحياة، وهو النَّموذج الأمريكي.

أمَّا عبد العزيز التويجري[3] فيعتبرها ما تقوم به العولمة ضدَّ الهويَّة ثورة ضد قوانين الهويَّة وخرقًا للقوانين المتَّفق عليها بين البشر؛ مما يهدِّد السَّلام، والأمن، والاستقرار في العالم

(١) فريمون، جان: **تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية**، مجلة الفكر العربي المعاصرة، العدد ٢٩٠، ١٩٨٤م، ص ٩١١.

(٢) قطب، محمد: **المسلمون والعولمة**، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٣.

(٣) التويجري، عبد العزيز: **الهويَّة والعولمة**، رابطة المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة، ١٩٩٧م، ص .

مستغربًا كيف يعتزُّ الغرب بهويتّه ويرفض حقّ الشُّعوب الأخرى بالاعتراف بهويَّتها.

وترتبط الهويَّة واللُّغة ارتباطًا وثيقًا، وتسعى العولمة إلى إسقاط الحواجز اللُّغويَّة خطوط الدِّفاع الأولى عن الهويَّة من خلال مراعاة سيادة اللُّغة الإنجليزيَّة ورغم أنَّ التَّحدي للهويَّة الإسلامية بدأ مع الحملة الفرنسيَّة على مصر في القرن الثَّامن عشر إلا أنَّ الحملة استمرت باستخدام أساليب جديدة تمثَّل في العولمة التي تخترق المجتمعات بشكل غير مناسب وقد حُفَّت بكلٍّ ما يرغب به الشَّباب من شهوات وأحاطت لغتهم الأم بالمكاره، وتأتي في زمن الهزائم النفسيَّة، والفكريَّة بعد حرب العراق، والهزائم الثَّقافيَّة، حيث اعتاد العرب التَّعامل مع ثَّقافة الغرب وفكرة تعامل المغلوب مع الغالب كما يقول ابن خلدون.

إنَّ الخطر الأكبر في عمليَّة العولمة: أنَّها تُفرض من الخارج، فهي ليست نتاجًا لتفاعلات بين الحضارات والمذاهب المتباينة على مستوى العالم ككل، وذلكم هو الأمر الذي يُكشف بشكل أو بآخر أنَّ العولمة مرحلة معاصرة من مراحل الرأسماليَّة، أو كما يصفها منظرو ما بعد الحداثة بأنَّها مرحلة متأخرة من مراحل الحداثة في ظل ليبراليَّة جديدة أشار إليها البعض بأنَّها تمثِّل نهاية التَّاريخ، أو كما أشار إليها آخرون بأنَّها

هجمة معاصرة للرأسماليَّة تستهدف تنميط العالم بالشَّكل الذي يخدم مصالح القوى الرأسماليَّة العالميَّة المسيطرة، وبالذَّات الشَّركات متعددة الجنسيَّات[1].

فالحضارة الغربيَّة بامتدادها العولمي الجديد تهتدي بروح القوة، وهي: الرُّوح الفاوستية التي ترى بأنَّ الوطن، هو أي مكان في الأرض، يمكن السيطرة عليع بمنطق القوة والحرب. فالحياة وفقًا لهذا العرف تجري وفقًا لمبدأ الصِّراع والنِّزال من أجل السَّيطرة والسِّيادة. هذا يعني أنَّ الرُّوح الغربيَّة الفاوستية تتجسَّد في معاني الغلبة، والصِّراع، والتَّحدي، والانتصار، والقوة. وتلك هي الرُّوح التي حدت بفلاسفة الغرب الفاوستيِّين، أمثال: هيجل ، ونيتشه ، واشبلنجر، وفيختة إلى تمجيد القوَّة وروح الحرب والانتصار، وهي التي دفعت اشبلنجر إلى الاعتقاد بأنَّ الحرب هي الخالقة لكل ما هو عظيم، وأنَّ كلَّ ما له معنى في الحياة قد ولد ونشأ عن النَّصر والهزيمة. وهذه الحضارة تسعى إلى هدم الحضارات قائمة وتذويب الخصوصيَّات الثَّقافيَّة في سبيل بناء ثقافة غربيَّة واحدة تكون لها السِّيادة للسَّيطرة والهيمنة.

(١) حجازي، أحمد مجدي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٩٩م، ص ١٣٩.

ومن هذا المنطلق تشتدُّ نزعة المعارضة والمقاومة لثقافة العولمة التي تحاول أن تعمِّم نموذجها الحضاري وتفرضه على العالم بكلِّ الوسائل الممكنة.

ولكن لكلِّ ثقافة عناصرها ، ومكوناتها التي تشكِّل في جملتها الشَّخصيَّة الثَّقافيَّة للمجتمع ، أوالأمَّة، وتبعًا لاختلاف العناصر والمكوِّنات الثَّقافيَّة، من ثقافة لأخرى، تتمايز الثَّقافات وتأخذ كلٌّ منها طابعها الخاص وتصبح لكلِّ أمَّة هويَّتها الثَّقافيَّة المميَّزة.

والثَّقافة الغنيَّة الحيَّة، هي الثَّقافة التي تكاملت فيها عناصر أساسيَّة أربعة بمكوناتها الحيويَّة: (اللُّغة، والمعتقدات، والقيم، والمعرفة)، كما في الثَّقافة العربيَّة... فاللُّغة العربيَّة حيَّة وثريَّة بمفرداتها ، وبقواعدها ، وبإمكانية تطورها ومسايرتها لروح العصر... والمعتقد الدِّيني موجود ولا يحتاج إلى تغييِّر أو تحديث، لسموِّ مصدره وغايته، ولمناسبته لكلِّ زمان ومكان. ولا يعني هذا أنَّ باب الاجتهاد قد أقفل، بل هو مطلوب على مستوى التَّفسير الذى يفترض أن يتناسب مع ظروف العصر ويأخذ في الحسبان التَّطور الذى يحدث في العناصر المعرفيَّة على المستوى الدَّولي... والنَّسق القيمي العربي لم يترك صغيره ولا كبيرة من القضايا التي تتعلَّق بتنظيم حياة اجتماعيَّة إنسانيَّة سليمة إلا

وتضمّنها، لسموّ مصدره، وهو الدّين الإسلامي، دين الإنسانيّة... أمّا المعرفة, فالتّاريخ يشهد بإسهامات العرب بنصيب هـام فـي تطوير المعارف العلميّة وبأخذ الآخرين عـنهم(١). كمـا يـشهد التّاريخ المعاصر بإسهامات العرب- ولاسيما المقيمـين مـنهم بالدول المتقدّمة- في الحضارة المعاصرة, بالعديد من مجـالات المعرفة.

وللهويّة والخصوصيّة الثّقافيّة أهميّتها، والمحافظة عليهـا أمر ضروري، بشرط ألا يؤدّى ذلك إلى الجمود. فالثّقافة القوميّة لا تنفك تتجدّد ما وجد مثقفون مبدعون يمدونها بالجديد، بـل إنّ العديد من المنظمات الدوليّة، وعلى رأسها : اليونسكوالتي تـرى ضرورة احترام الخصوصيّات الثّقافيّة، وتؤكّد علـى ضـرورة اتخاذها مدخلاً للتّنميّة المحليّة في العديد من المجتمعات(٢).

(1) النير، مصطفى عمر: **"الهوية الثقافية العربية والتعليم العالي في الوطن العربى في ظل العولمة"**، مجلة الفكر العربى، العدد٩٧، السنة العشرون, بيروت، معهد الإنماء العربى، صيف١٩٩٩، ص١٩.

(2) عيد ، يوسف سيد محمود: **"الجامعة والتفاعل مع ظاهرة العولمة- دراسة تحليلية نقدية"**, التربية والتنمية, العدد٢٤, السنة التاسعة, القاهرة, المكتب الاستشاري للخدمات التربوية, ديسمبر٢٠٠١, ص١٣٠-١٣١.

والمحافظة على الخصوصية الثَّقافيَّة وتأصيلها تعني التَّوازن في النَّظر إلى الثَّقافة الخاصَّة، وإلى الثَّقافات الأخرى. وهذا التوازن يقتضي انتفاء التَّبعيَّة الثَّقافيَّة وانتفاء الانبهار الثَّقافي الدَّافع إلى المحاكاة والتَّقليد. وهو يعني في الوقت نفسه ألا تنغلق ثقافة ما على نفسها، فترفض التَّعامل مع الثَّقافات الأخرى، وتفتتن بحاضرها أو بماضيها، فتديم النَّظر إلى نفسها وتتجاهل ما سواها[١].

وتواجه الخصوصيَّات الثَّقافيَّة اليوم تيارًا جارفًا من العولمة, حيث هيمنة المجالات المختلفة للثَّقافة والحضارة العلمانيَّة الغربيَّة على العالم. والخطر الأكبر للعولمة في حقيقة الأمر هو خطر ثقافي؛ لأنَّها قد تسبب انهيار بعض الثَّقافات أو اندثارها أو انقطاعها[٢]؛ نظرًا لامتلاك الثقافة الغربية وسائل الغزو والهيمنة.

(1) مدكور، على أحمد: "التربية وثقافة التكنولوجيا"، سلسلة الفكر العربي للتربية وعلم النفس، كتاب رقم(٢٧)، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص٣٩.

(2) الجوهري ، محمد الجوهري حمد: "العولمة والثقافة الإسلامية"، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ص٢٦_ ٩٥.

ويقتضي هذا من تربية عصر المعلومات- حفاظًا على الهويَّة الثَّقافيَّة – تنمية الوعي بالقواسم المشتركة بين الثَّقافات والحضارات الإنسانيَّة، والاهتمام بتنمية مهارات التَّواصل والتَّفاوض الثَّقافي، وتنمية القدرة على الإقناع وهندسة الحوار مع الآخر, والتَّخلص من نزعات التَّعصب والعنف[1]. كما يقتضي هذا من التَّربية تدعيم الثِّقة بالنَّفس واحترام الذَّات وترسيخ قيم المواطنة والولاء للوطن والذَّود عن هويته الثَّقافيَّة أمام خطر العولمة الثَّقافيَّة الجارف.

وتنمية الوعي بالقواسم الثَّقافيَّة المشتركة بين الثَّقافات, وإقامة جسور التَّواصل والتَّحاور الثَّقافي، ومواجهة خطر العولمة الثَّقافيَّة، لا يكون ذلك إلا باستنارة عقليَّة كافية، وبناء تربوي سليم، تقوم به وتقوده مؤسسة تربويَّة متخصِّصة وقادرة على قيادة المؤسسات الثَّقافيَّة والتَّربويَّة الأخرى وتوجيهها لبلورة فكر تربوي مستنير، يواجه تلك الهيمنة وذلك الطُّوفان العولمي الكاسح.

(1) علي، د. نبيل: "الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافى العربى"، عالم المعرفة، العدد٢٧٦، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر ٢٠٠١, ص٣٢٠.

المراجع العربية والأجنبية

١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **المقدمة**، تحقيق درويش الجويدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢- أبو حلاوة، كريم: **الآثار الثقافية للعولمة حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة**، عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٢٩، ٢٠٠٠م.

٣- أبو طالب، عبد الهادي: **مؤتمر العلاقات الأمريكية العربيَّة وتحديات العولمة**، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

٤- أسعد، د. علي العبد الغفور، د. محمد: **الثقافة العربية الإسلامية** إزاء تحديات العولمة وفرصها، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٤١، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م.

٥- باروت، محمد جمال: **الدولة والنهضة والحداثة مراجعة نقدية**، ط١، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٠م.

٦- بشر، د. كمال: **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، ط١، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٧- بلقزيز، عبد الإله: **العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر، ١٩٩٧م.

٨- بيتر هافس- شومان، هارلد: **فخ العولمة**، ترجمة عدنان علي،

عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

٩- بيرجيسن، ألبرت: **قلب نظرية النسق العالمي رأسًا على عقب في ثقافة العولمة**، إعداد مايكل فيذرستون، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٠- البيطار، محمد بهجت: **بين الاشتقاق والتعريب**، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦١م.

١١- التهانوي، علي بن محمد: **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢- التويجري، عبد العزيز: **الهويَّة والعولمة**، رابطة المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة، ١٩٩٧م.

١٣- التير، مصطفى عمر: "**الهوية الثقافية العربية والتعليم العالي في الوطن العربى في ظل العولمة**"، مجلة الفكر العربى، العدد٩٧، السنة العشرون, بيروت، معهد الإنماء العربى، صيف١٩٩٩.

١٤- التيزيني، الطيب: **الواقع العربي والألفية الثالثة**، ندوات (حوارات في الفكر الواقع الغربي وتحديات الألفية الثالثة)، مراجعة وتدقيق ناصف نصار، العدد ٣، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ٢٠٠١م.

١٥- الجابري، محمد عابد: **العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات**، مجلة فكر ونقد، العدد ٦، فبراير ١٩٩٨م.

١٦- الجوهري ، محمد الجوهري حمد :" **العولمة والثقافة الإسلامية**"، القاهرة ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ-

٢٠٠٢م.

١٧- حجازي، أحمد مجدي: **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية**، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٩٩م.

١٨- حجازي، مصطفى: **العولمة والتنشئة المستقبلية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، العدد ٢، ١٩٩٩م.

١٩- حرب، علي:

- **حوار الثقافات والخروج من المأزق، تمرس في سياسة معرفية جديدة**، المنطلق الجديد، العدد ٣، ٢٠٠١م.
- **غزو ثقافي أم فتوحات فكرية**، الفكر العربي، العدد ٧٤، السنة الرابعة عشرة، ١٩٩٣م.

٢٠- حسين، محمد كامل: **القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٢١- حماد، نزيه: **معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء**، هيرندون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١١هـ-١٩٩٣م.

٢٢- الخاني، محمد جميل: **حول قرارات التعريب**، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

٢٣- خضر، د. محمد زكي محمد:

- **التعامل مع القرآن الكريم في عصر المعلوماتية**: مؤتمر كلية الآداب الخامس – جامعة الزرقاء الأهلية – حضارة الأمة وتحدي المعلوماتية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- **الحروف العربية والحاسوب**: المحاضرة السادسة، الموسم الثقافي الرابع عشر، ٢٢ حزيران ١٩٩٦.

٢٤- خطاب، محمود شيت: **المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم**، بيروت، دار الفتح سنة ١٩٦٦م.

٢٥- الخياري، عبد الله: **التعليم وتحديات العولمة**، مجلة فكر ونقد، العدد ١٢، السنة الثانية، ١٩٩٨م.

٢٦- الدسوقي، عمر: **في الأدب الحديث**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٧- الدمياطي، محمود مصطفى: **معجم أسماء النباتات الواردة في "تاج العروس" للزبيدي**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

٢٨- الراجحي، د. عبده: **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

٢٩- الرميحي، محمد: **ثمن العولمة**، مجلة البيان الإلكترونية، ١٩ صفر ١٤٢١هـ.

٣٠- زكريا، فؤاد: **خطاب إلى العقل العربي**، الكتاب السابع عشر، الكويت، ١٩٨٧م.

٣١- السباعي، د. زهير: **تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية**، ط١،.

٣٢- الشاذلي، خلاف خلف: **المجتمع العربي بين مخاطر العولمة**

الثقافية وتحديات ثقافة العولمة، شؤون عربية، العدد ١٠٧، ٢٠٠١م.

٣٣- الشبيبي، محمد رضا: **تراثنا القديم من المصطلحات، مظانه ومصادره، ومعجم المصطلحات المهنية الواردة في كتاب الأنساب**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٣٤- شوقي، جلال: **مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب**، مجلة مجمع اللغة العربية.

٣٥- صاغية، حازم: **وداع العروبة**، لندن، دار الساقي، ١٩٩٩م.

٣٦- صياح، فؤاد: **تعليم العلوم باللغة العربية، اتجاهات وحلول**، ط١، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٧- الصيرفي، حسين كامل: **علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٣٨- ضاهد، مسعوذ: **خصوصية الثقافة الكونية**، العربي، العدد ٤٣٨، ١٩٩٥م.

٣٩- الضبيب، د. أحمد: **اللغة العربية في عصر العولمة**، ط١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م.

٤٠- ضيف، د. شوقي: **مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا**، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤١- عبد الله، عبد الخالق: **العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، ١٩٩٩م.

٤٢- عبد الله، عبد العزيز:

- **المعجم الصوفي**، الرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب بلا تاريخ.

- **المعجم الفقهي المالكي**، الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب سنة ١٩٦٥م.

٤٣- عبد المعطي، يوسف: **العولمة إلى أين؟** مجلة التربية الصادرة، وزارة التربية، الكويت، العدد ٣٤، السنة العاشرة، يوليو، ٢٠٠٠م.

٤٤- عبيد، نايف علي: **العولمة والعرب**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢١، يوليو ١٩٩٧م.

٤٥- عرسان، د. علي عقلة: **ثقافتنا والتّحدي خطابنا وخطاب العصر**، ط١، منشورات اتحاد الكتّاب العربي، دمشق، ٢٠٠١.

٤٦- العظم، صادق جلال: **عولمة وثقافة**، المجلة العربية للثقافة، الأردن، سبتمبر، ٢٠٠٠م.

٤٧- علي، د. نبيل:

- **العرب وعصر المعلومات**، ط١، دار المعرفة، الكويت، (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

- **اللغة العربيّة والحاسوب**، ط٢، دار المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م.

- **الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب العربى**، عالم المعرفة، العدد٢٧٦، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر ٢٠٠١.,

٤٨- عليون، برهان: **العرب وتحديات العولمة الثقافية مقدمات في عصر التشريد الروحي**، محاضرة ألقيت في المجمع الثقافي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إمارة أبو ظبي، أبريل، ١٩٩٧م، فرّغها كتابيًّا د. عمرو خاطر.

٤٩- عمر، د. أحمد مختار: **اللغة العربية بين الموضوع والأداة**، فصول، المجلد الرابع، العدد الثاني، يونيو ١٩٨٤م.

٥٠- عنان، محمد عبد الله: **جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية في الأندلس**، مجلة مجمع اللغة العربية.

٥١- عواض، علي عبد الرحمن: **العربي في عيون عربية**، ضمن ندوة: نحو إطار حضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين، والتي أقيمت بدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي [١٥ – ١٨] نوفمبر ١٩٩٤م، تحرير، موزة غباشي.

٥٢- عيد ، يوسف سيد محمود: "**الجامعة والتفاعل مع ظاهرة العولمة- دراسة تحليلية نقدية**", التربية والتنمية, العدد٢٤, السنة التاسعة, القاهرة, المكتب الاستشاري للخدمات التربوية, ديسمبر ٢٠٠١

٥٣- عيسى، محمد عبد الشفيع: **رؤية إلى المستقبل العربي في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي**، ط١، مكتبة

مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٤- فريمون، جان: **تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية**، مجلة الفكر العربي المعاصرة، العدد ٢٩٠، ١٩٨٤م.

٥٥- قطب، محمد: **المسلمون والعولمة**، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٦- كولماس، فلوريا: **اللغة والاقتصاد**، ترجمة د: أحمد عوض، ط١، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥٧- محفوظ، حسين علي: **معجم الموسيقى العربية**، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٤م.

٥٨- مدكور، علي أحمد: **"التربية وثقافة التكنولوجيا"**، سلسلة الفكر العربي للتربية وعلم النفس، كتاب رقم(٢٧)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

٥٩- مدكور، د. إبراهيم:

- **حول الاشتقاق والتعريب**، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦١م.
- **في اللغة والأدب**، ط١، القاهرة، ١٩٧١م.

٦٠- المفلح، بشرى: **ندوة حول مستقبل الأمة التربوي في ظل العولمة الثقافية**، تحرير محمد خالد، ومريم التاجي، وجلنار فهيم، مجلة الشقائق، العدد ٣٥، ٢٠٠٠م.

٦١- الملائكة، جميل: **في مستلزمات المصطلح العربي**، مجلة مجمع

اللغة العربية العراقي، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٦٢- نيومارك، بيتر: **دليل الترجمة**، ترجمة محمود إسماعيل صيني، دار العلوم، الرياض، (١٤١٥هـ- ١٩٨٥م).

٦٣- ياسين، السيد: **العولمة فرص ومخاطر**، تحرير د. شبل بدران، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٤- يكن، فتحي: **العولمة الحقيقة والأبعاد**، مؤتمر كلية الشريعة، بعنوان (ملامح إستراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن القادم)، الكويت، ١٩٩٩م.

٦٥- **معجم فقه ابن حزم الظاهري**، دمشق لجنة موسوعة الفكر الإسلامي، جامعة دمشق سنة ١٩٦٦م.

٦٦- **ندوة الرموز العلمية وأشكال الحروف العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ١٩-٢٠ (ربيع الأول- رمضان)، ١٤٠٣هـ.

٦٧- **مذكرة حول المصطلحات البترولية**، جيولوجيا وكيمياء، مجلة مجمع اللغة العربية العراقي، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

68- S. Hantington, "Clash of Civilizations" London: Touchstone Books, 1996.

69- Stern, H.W. (1984). Fundamental Concepts in Language Teaching. Oxford: Oxford University press.

الفهرس

العربية والعولمة







مؤسسة حورس الدولية
طباعة . نشر . توزيع
١٤٤ ش طيبة - سبورتنج - الإسكندرية ت: ٠٠٢٠٣٥٩٣٠٥٩٨ ت. فاكس: ٠٠٢٠٣٥٩٢٢١٧١ محمول: ٠١٢ ٣٢٩٣٦٣٨
Horus International Institution For Pressing -Publishing - Destribution
144 Tiba st,sporting -Alexandria Phone : 00203 5930598 - Fax: 002035922171 Mob :012 3293638
E-mail : horus-alex2007@yahoo-com